دكتور يوسف القرضاوي

أين الخلل..؟

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

أين الخلل..؟

دكتور يوسف القرضاوي

أين الخلل..؟

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثامنة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الطبعة الثالثة لمكتبة وهبة

رقم الإيداع ٩٧/٤٠٩٦

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-225-106-X

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة مع الأمة الإسلامية

تابعت باهتمام ما أثارته مجلة (الأمة) الغراء ، منذ كتب الأخ الفاضل د . نعمان السامرائى ، مقاله : أين الخلل ؟ فى العدد السادس والأربعين . وقد دعت المجلة أهل الرأى والفكر إلى المشاركة فى هذه القضية حتى تستبين معالمها ، كما شرفتنى بالحث على الإسهام فيها بنصيب .

والقضية خليقة أن تفرد بالعناية ، وأن يمنحها رجال الفكر الإسلامى بعض وقتهم وجهدهم . وأحسب أنى ممن ساهم فيها من قبل ببعض ما كتبت من كتب ومقالات . ولكن الجهد فيها ينبغى أن يستمر ولا يتوقف .

ولابد من البداية أن نحدد المشكلة التى نبحث عن حلها : ما هى ؟

أهى البحث عن (الخلل) لنسده ؟ أم نحن نعرف (الخلل) فعلاً ولكننا لا نعرف كيف نسده ؟ هل المشكلة فى صعوبة (التشخيص) أم فى وصف العلاج ؟ أم فى الإيمان به والصبر على تناوله مهما يكن مرا ؟ .

وبعبارة أخرى :

هل تتجسد مشكلتنا فى عدم وجود الطبيب القادر على التشخيص؟ أم فى عدم وجود الدواء الناجع فى اقتلاع الداء ؟ أم فى أن المريض نفسه غير قابل للدواء ، ولا متجاوب مع العلاج ؟ .

ثم لا بد أن نحدد المحيط الذى نبحث فيه عن (الخلل) أو (العلل) أهو محيط الأمة الإسلامية على اتساعها أم هو محيط الحركة الإسلامية ؟ أم هما معاً ؟

أعنى : من هو المريض الذى نَطِبُّ له ، والذى نحاول أن نشخص داءه ، ونصف دواءه ؟ وأعتقد أننا لا نتحدث عن الخليج ، ولا عن العرب فقط ، ولكن عن أمة الإسلام ، حيثما ارتفعت المآذن ، ونادى المنادى : الله أكبر .

وإذا كنا نبحث فى محيط أمتنا الكبرى ، فإن كلمة (الخلل) فيها تساهل كبير لا يعبر عن الواقع الذى نعانيه ، والأدواء التى تشكو منها .

* * *

● إنه ليس خللاً بل غيبة عن الوعى :

إن عبارة (الخلل) عند إطلاقها تعني أن الغاية قد حددت ، وأن الطريق قد اتضح ، وأن الوسيلة قد هيئت ، ولكن الخلل أصاب الوسيلة فى وسط الطريق .

خذ لذلك مثلاً الطالب الذى يريد أن يسافر ليطلب العلم ، وقد عرف أى علم يطلب ؟ وإلى أى بلد يذهب ؟ وأى طريق يسلك ؟ ولكن سيارته التى يمتطيها تعطلت فى الطريق ، إن هناك خللاً ولابد قد حدث . أهو فى المولّد ؟ أم فى (الموتور) ؟ أم فى غيرهما ؟ لا بد من البحث عنه حتى يعرف ما هو ، فإذا عرفناه عالجناه .

فإذا طبقنا ذلك على حال أمتنا الإسلامية ، وجدنا الأمر أكبر وأعمق من مجرد (خلل) ، إنه غيبة عن الوعى ، إنه فقدان الهوية، إنه التيه عن الغاية ومن بعده - بالضرورة - ضياع الطريق!!

* * *

● أمة نسيت نفسها :

إننا إذا نظرنا إلى أمتنا فى ضوء ما وصفها به الله فى كتابه ، وجدناها أمة أخرى غير أمة القرآن ، وصفها الله تعالى بالخيرية ، وعلل خيريتها بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (1) . وأمتنا اليوم - إلا من رَحِم ربك - لا تأمر بالمعروف ، ولا تنهى عن المنكر ، بل فقدت حسها

---

(١) آل عمران : ١١٠

وميزانها ، فرأت المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، بل بات فيها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، وغشيتها فتنة تذر الحليم حيران .

أمتنا وصفها الله بالوسطية حين قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) ، وهى الآن قد تركت المنهج الوسط ، والموقع الوسط لتميل إلى اليمين أو اليسار ، وتجنح إلى الشرق أو الغرب ، فتركت (الصراط المستقيم) صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، إلى طريق المغضوب عليهم والضالين ، واتبعت سنتهم شبراً بشبر ، ذراعاً بذراع .

وصفها الله بالوحدة حين قال : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، وهى الآن لم تعد أمة واحدة ، كما يحب الله ، بل أمماً شتى كما أراد الاستعمار ، أمم تعادى بعضها بعضًا ، بل يقاتل بعضها بعضًا .

والخلاصة : أن أمتنا نسيت الله فأنساها ذاتها ، وصدق الله :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (٣) .

والحق أنه لا معنى لوجود هذه الأمة بغير الإسلام ، ولا انتصار لها بغير الإسلام ، ولا وحدة لها بغير الإسلام ، ولا عزة لها بغير

---

(١) البقرة : ١٤٣ (٢) الأنبياء : ٩٢ (٣) الحشر : ١٩

الإِسلام ، ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر الذى قال : « نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإِسلام ، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله » !!.

* * *

• أُمتنا فى ضوء معايير التقدم المادى :

وإذا نظرنا إلى أمتنا فى ضوء معايير التقدم المادى المعاصر ، وجدناها وراء وراء !! .

إنها لا زالت عالة على الأُمم الأخرى فى قوام حياتها الاقتصادية والعسكرية . إِنها لا تنتج الكفاية من القوت الذى به قيام المعيشة ، ولا من السلاح الذى به حماية السيادة .

إن المسلمين فى الأعصر الأخيرة : « رضوا بالزرع ، وتبعوا أذناب البقر » كما وصفهم الحديث النبوى ، ومع هذا لم يعطهم زرعهم من الثمر ، ولا بقرهم من اللبن ، ما يغنيهم عن الاستيراد من غيرهم .

* * *

• أُمة معطلة الطاقات :

إِن مصيبة الأُمة الإِسلامية أن طاقاتها - برغم كثرتها وضخامتها وتنوعها - معطلة ! ولا أعنى بتعطيلها الشلل الكلى ، بل الشلل الجزئى ؛ أعنى أنها لا تعمل بكامل طاقاتها لتعويض ما فاتها فى

عهود النوم والغفلة ، وللحاق بركب التقدم العالمى ، وهو ما يحتم عليها مضاعفة الجهد ، وتكثيف الغطاء ، ولكن أمتنا لا تعمل بنصف طاقتها ، ولا بربعها ، ولا بخمسها ، ولا بعشرها ، فأرخص شيء عندها هو الوقت ، وأثقل شيء عليها هو العمل ، وأقل الثروات قيمة عندها هو الإنسان !!

* * *

● **طاقاتنا العقلية معطلة :**

إن طاقاتنا العقلية معطلة ، لأننا نقلد ، ولا نجتهد ، نحاكى ولا نبدع ، ننقل ولا نبتكر ، نحفظ ولا نفكر . أى نستخدم تفكير غيرنا ، ولا نفكر نحن لأنفسنا ، سواء أكان ذلك الغير أسلافنا من الماضين أم غيرنا من الحاضرين .

وليس هذا فى العلوم (التراثية) وحدها ، كما يتوهم ، بل فى العلوم الطبيعية والرياضية أيضاً ، فنحن نحفظ قوانينها ، ولا نحسن الاستفادة منها ، وحسبنا أن الغربيين يفكرون ويخترعون لنا ، فهم المكتشفون والمبدعون ، ونحن التراجمة !! .

وكفانا عاراً أن عشرين دولة تعلم العلوم بلغات أجنبية ، معترفة بعجزها عن تعليمها بالعربية ، وأن (إسرائيل) - دولة المليونين أو الثلاثة - تعلم العلوم بالعبرية !!

حتى العلوم الإنسانية التى تتلون بتلون كل أمة وعقائدها ، وقيمها وثقافتها واختلاف نظرتها إلى الكون ومكونه ، وإلى الإنسان . .

حقيقته ، وإلى الحياة ومصيرها ، وإلى المعرفة ومصادرها ، هذه العلوم الإنسانية نقلناها عن الغرب نقلاً حرفياً كل حسب المدرسة التى أخذ عنها ، وإن كانت كلها فروعاً من شجرة واحدة ، هى شجرة المادية الملعونة فى التوراة والإنجيل والقرآن .

ونظمنا التعليمية السائدة تساعد على إنشاء هذه العقلية المقلدة ، وقد رأينا أقوى أمة فى عالمنا (أمريكا) ترى نفسها على حافة الخطر، بسبب قصور التعليم فيها عما تنشده لأبنائها ، وتتنادى بوجوب درء الخطر الذى يواجهها فى مسيرتها التعليمية ، ولم يعمها صعودها إلى القمر أن ترى ضعف مستوى أبنائها على الأرض (١) .
ونحن نرى ونلمس ضعف المستوى التعليمى فى مجتمعاتنا إلى حد مخجل ولكننا صامتون أو مشغولون ، أو مجاملون .

إن نظمنا التعليمية تخرج موظفين ، ولا تخرج مثقفين ، وحتى القراءة فنحن لا نحب أن نقرأ ، لأن القراءة تتطلب منَّا جهدًا وتفكيراً ، حتى نفهم ونتابع ، ولكن الكسل عندنا أحلى من العسل!! .

لقد قال (موشى ديان) يومًا لقومه من اليهود ، وقد لاموه على بعض تصريحات تكشف عن أطماعهم وتطلعاتهم ، وقد خشوا أن يقرأها العرب ، ويكشفوا خططهم ، قال لهم : اطمئنوا فإن العرب لا يقرأون !! .

---

(١) انظر : التقرير الذى أصدره مكتب التربية العربى لدول الخليج تحت عنوان : « أمة معرضة للخطر » ترجمة وعرض الدكتور يوسف عبد المعطى.

والعجب من أمة أول آية نزلت فى كتابها : (اقرأ) لا تحسن أن تقرأ ، وإذا قرأت لا تحسن أن تفهم ، وإذا فهمت لا تحسن أن تعمل ، وإذا عملت لا تحسن أن تستمر !! .

إن الله تعالى شاء أن يجعل معجزة الإسلام معجزة عقلية أدبية ولم يجعلها معجزة حسية ، كما كان فى رسالات سبقت ، إعلاءً لشأن العقل فى هذا الدين ، وهذا الكتاب ، الذى نزل خطاباً لأولى (النُّهى) وأولى (الألباب) لا للبله ولا الحمقى .

إن الله تعالى قد علل انتصار المسلمين على أعدائهم من المشركين واليهود بأن هؤلاء : ﴿ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ أو ﴿ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ فكيف إذا بات المسلمون اليوم وهم أحق الناس بهذا الوصف (لا يعقلون) ، و(لا يفقهون) لأنهم لم يفقهوا آيات الله المشهودة فى كتابه الصامت : الكون ، ولا آياته المقروءة فى كتابه الناطق : القرآن ، وقد أنزلها وفصلها ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ، و﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ !!

لقد ابتدعنا فى دين الله ، والابتداع فى الدين ضلالة ، وجمدنا فى شئون الدنيا ، والجمود فى الدنيا جهالة ، وكان الأجدر بنا أن نعكس الوضع فنتبع فى أمر الدين ، ونبتدع فى أمر الدنيا ، فروح الدين الاقتداء والاتباع وروح الدنيا الابتكار والابتداع !!

* * *

● طاقاتنا العملية معطلة :

وطاقاتنا العملية معطلة ، مع أن الله خلقنا لنعمل ، بل خلقنا

ليبلونا أينا ﴿ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [1] ، وهذا تعبير له إيحاؤه ودلالته ، فليس المراد تمييز سيئ العمل من حسن العمل ، بل المفترض أن يكون عمل الجميع حسناً ، ولكن أيهم أحسن وأرجح ؟

والمسلم مطالب بالعمل إلى آخر رمق فى الحياة ، حتى لو قامت الساعة وفى يده فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها ، كما أمره رسول الله ﷺ .

والعمل فى الإِسلام عبادة وجهاد سواء كان عملاً للدين أم للدنيا ، إذا صحت فيه النية ، والتزمت حدود الله تعالى ، ولكن أمتنا للأسف أقل الأُمم عطاءً وعملاً ، ، وأكثرها كلاماً وجدلاً ، نحن نتكلم كثيراً ونعمل قليلاً ، وكثيراً ما نعمل غير المهم ، وندع المهم ، بل قد نعمل غير النافع ، وندع النافع .

ونحن ندور حول أنفسنا كالثور فى الطاحون ، أو كالذى حكوه عن جحا وساقيته : (زعموا أن جحا صنع ساقية تأخذ الماء من النهر ، ثم ترده إلى النهر ، فلما سُئِل فى ذلك ، قال : يكفينى نعيرها !!) .

ولقد اشتركت فى عدة مؤتمرات إسلامية عالمية ، وصدرت عن هذه المؤتمرات توصيات مبصرة ، ولكنها - إلا فى القليل النادر - لم تر النور ، ولم تبرز إلى حيز التطبيق ، وظلت حبراً على ورق كما يقال . . ترى لماذا ؟ .

---

(١) الملك : ٢

ألأننا تعودنا حسن الكلام ولم نتعود حسن العمل ؟ . . .

أم لأننا نتكلم ونتوقع من غيرنا أن يعمل ؟ . . .

أم لأننا نقرر ونقدر ، ثم لا نتابع ماذا حدث فيما قررناه ؟ . .

لا أقلل من أهمية الكلمة الصادقة المعبرة وتأثيرها ، فإن معجزة الإسلام الأولى - القرآن - إنما هى كلام ، وأحاديث الرسول الكريم كلام ، ولكن لا ينبغى أن يطغى الكلام على العمل ، ولعل هذا بعض السر فى نزول القرآن الكريم منجماً في ثلاث وعشرين سنة ؛ ليتيح الفرصة للمؤمنين أن يحولوا كلمات الله المنزلة إلى عمل صالح ، وإلى حياة نابضة ناطقة ، حتى وصفت عائشة الرسول ﷺ بكلمتها الشهيرة المعبرة : « كان خلقه القرآن » . . !!

ومن كلمات المعاصرين الحية وصف الصحابة - رضى الله عنهم - بأن الواحد منهم كان قرآناً يسعى على قدمين !! .

إن الكلام لا بد منه ، وإن الحرب أولها كلام كما قال الشاعر . ولكن الكلام يُذم إذا كان أكثر من العمل ، ويُذم أكثر إذا كان بلا عمل ، ويُذم أكثر وأكثر إذا كان مناقضاً للعمل ، وفى هذا جاء وعيد الله يدوى وينذر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

* * *

---

(١) الصف : ٢ ، ٣

• طاقاتنا الاقتصادية معطلة :

طاقاتنا الاقتصادية معطلة ، فنحن نعيش فى أهم بلاد الله موقعاً ، وأطيبها بقعة ، وأخصبها أرضاً ، وأحفلها بالمعادن المذخورة فى باطنها ، والثروات المنشورة فى ظاهرها ، ولكننا لم نستغل ثرواتنا، ولم نزرع أرضنا ، ولم نصنّع المعادن والمواد (الخام) المستخرجة من أرضنا .. وما نزرعه من أرضنا - وهو قليل من كثير - لا نزال نزرعه - فى غالب الأمر - بطريقة أجدادنا ! وكثيراً ما نجور على الأرض الحية الخضراء فنحيلها إلى مبان ومنشآت ، ونعجز عن تحويل الأرض البور إلى أرض مزروعة ، وهو ما سماه الفقه الإسلامى (إحياء الموات) أى أننا نميت الأرض الحية ولا نحيى الأرض الميتة !!

أصبح الطابع الغالب علينا : أننا نستهلك ولا ننتج ، ونستورد ولا نصنع وقد ننتج ما لا نحتاج إليه ونهمل إنتاج ما نحن فى أشد الحاجة إليه ، ونفتخر باقتناء أفخر السيارات العالمية ، ونحن لا نحسن صناعة دراجة !!

فلا غرو أن يهلك الملايين منا جوعاً ، وبلادنا زراعية ، ما دمنا عاجزين عن حفر بئر فى الأرض ، منتظرين المطر من السماء ، وما دمنا نهتم بمظاهر الرفاهية لا بمصادر الإنتاج ، كالذين حكى الله عنهم من أصحاب القرى الظالمة التى دمرها على أهلها ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ (١) ، وكان أولى بهم أن يهتموا بالآبار ومصادر المياه قبل تشييد القصور !! .

---

(١) الحج : ٤٥

ولا غرو أن يصبح العالم الإِسلامى كله فى دائرة (البلاد النامية) وكلمة (النامية) تعبير مؤدب لـ (المتخلفة) التى تركب الجمال والحمير ، وغيرها يركب سفن الفضاء ، وإذا ركبت السيارات والطائرات فهى ليست من صنعها . . أليس من المؤسف المحزن أن نظل إلى اليوم عالة على غيرنا ، فلا نزرع من الحبوب ما يكفى غذاءنا ، ولا نقيم من الصناعات ما يحمى ذمارنا ؟

لقد رأينا عدداً من بلاد المسلمين فى أفريقيا يسقط فيها هلكى تحت مطارق المجاعة والجفاف حيث لا يجدون ما يمسك الرمق ، أو يطفى الحرق ، وكان فى الإِمكان - لو فكروا فى الأمر من قبل وخططوا له - أن تحفر آبار ، وتدق أنابيب تستخرج بها المياه من جوف الأرض ، فإذا لم ينزل الغيث من السماء وجدوا فيما يستنبط من الأرض عوضاً .

ورأينا مسلمين آخرين - لوفرة ما تنتجه بلادهم - يتخلصون من الثمار بدفنها فى الأرض ، لأنهم لا يستطيعون تصنيعها ، ولا يستطيعون حفظها ، ولا يستطيعون نقلها !!

أليس هذا من العجز استعاذ منه ﷺ حين قال : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل » [1] ، ونهى عنه ، فقال : « استعن

---

(١) رواه البخارى وأبو داود وغيرهما من حديث أنس .

بالله ولا تعجز »[1] . وقال : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس »[2] .

وإذا كان كل بلد عاجزًا إذا عمل وحده ، أفلا تتكون من مجموع هذه البلاد قوة ؟ ثم أين التكامل والتعاون بين البلاد الإسلامية ؟

* * *

● **طاقاتنا العددية معطلة :**

وطاقاتنا العددية معطلة ، فنحن - وإن كنا ألف مليون مسلم - تفرقنا طرائق قددًا .

عمينا عن نور الله ، فتقسمتنا ظلمات الطواغيت ، وأعرضنا عن صراط الله الواحد ، فتفرقت بنا السبل المتعددة ، فمالت ببعضنا إلى اليمين ، وانحرفت بآخرين إلى اليسار ، وانحاز جماعة إلى الشرق، وآخرون إلى الغرب ، ونسينا تحذير الله لنا : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[3] . تفرقنا ، والتفرق يضعف الكثرة ، كما أن الاتحاد يقوى القلة .

لم نتكامل ولم نتعاون ، ولم نتلاحم ، فى عصر يتكلم بلغة الكتل الكبيرة ، ولا تستطيع القلة فيه أن تعيش وحدها ، ولهذا رأينا

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) الأنعام : ١٥٣

الدول المتقدمة تقيم فيما بين بعضها وبعض الأحلاف العسكرية ، والأسواق الاقتصادية إلى جوار التكتلات السياسية .

أما نحن فقد انقسمنا قوميًا بين عرب وعجم ، وفكريًا بين تقدميين ورجعيين ، وسياسياً بين موالين للغرب وموالين للشرق . إلى غير ذلك من أنواع التمزق والانقسام .

كان المفروض أن نستفيد من طاقاتنا العددية ، وقد قال : « جمال الدين الأفغانى » يوماً للهنود : « لو كانت ملايينكم ذبابًا يطن فى أُذُن الإنجليز لخرقتم آذانهم » !!

ولكننا لم ننتفع بهذه القوة البشرية الضخمة ، لأننا جعلنا الكثرة كارثة وهى فى الأصل نعمة ، ألا ترى القرآن يقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [1] .

أصبح أكبر همّ الكثيرين منا من زاعمى الإصلاح - لا زعمائه - أن نقلل عددنا ونحدد نسلنا ! وفى الأرض أُمم ضخمة لم تشك من كثرة سكانها كما نشكو . بل اجتهدت أن توظف الكثرة فى خدمة الإنتاج .

* * *

● طاقاتنا الروحية معطلة :

وقبل ذلك كله وبعده ، طاقاتنا الروحية معطلة ، فقد أعلينا الطين والحمأ المسنون فينا على نفخة الروح ، التى هى سر تكريم الله

---

(١) الأعراف : ٨٦

لأنبيائنا من قبل ، ولنا من بعد : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١) .

هبت رياح المعصية ، فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا ، وطال علينا الأمد فقست قلوبنا من بعد ، كما قست قلوب أهل الكتاب من قبل : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (٢) .

ولم تساعد مناهجنا التعليمية ، وأجهزتنا التوجيهية على تكوين (المعانى الربانية) فى أنفسنا ، وصدق ما قاله المفكر الشاعر المسلم (محمد إقبال) ، حين قال عن (المدرسة الحديثة) إنها قد تفتح أعين الجيل الجديد على حقائق ومعارف ، ولكنها لا تعلم عينه الدموع ، ولا قلبه الخشوع ! أسأنا فهم الدين الذى هو روح وجودنا ، وسر بقائنا وتميزنا - حتى شغلنا بالشكل عن الجوهر وبالقالب عن القلب ، مع أن أهم ما جاء به ديننا هو تطهير القلوب ، وتزكية الأنفس : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

فإذا تغيرت هذه الأنفس ، تغير المجتمع ، وتحول مجرى التاريخ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٤) .

صحيح أننا نحتفل بالأعياد والمواسم الدينية ، ونعطل الدوائر الرسمية - فى أكثر بلاد الإسلام - أيام الجمع والأعياد ، ونطبع

---

(١) الحجر : ٢٩
(٢) البقرة : ٧٤
(٣) الشمس : ٩ ، ١٠
(٤) الرعد : ١١

المصاحف والكتب الدينية .. إلخ ، ولكن هذا لا يعنى أننا أعطينا للدين حقه ، ووقفنا عند حدوده ، فنحن نحتفل به ونتمرد عليه ، كالذى يقبل يد الشيخ ولا يسمع نصحه ، وأخشى أن يسلكنا ذلك فى زمرة : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وأسوأ ما يصيب حياة أمة أن يصبح الدين فيها لهوًا ، ويصبح اللهو فيها دينًا !! .

وكيف لا ؟ وقد أصبحنا نزين جدراننا بآيات القرآن ، ولا نزين حياتنا بالعمل بالقرآن ، نقرؤه على الأموات ، ولا نحكمه فى الأحياء ! نجعل البركة فى مجرد حمله أو تلاوته ، وإنما البركة الحقيقية فى اتباعه وتحكيمه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) .

اجترأنا على الله تعالى ، فعطلنا شريعته ، وجمّدنا أحكامه ، وتطاولنا على علمه وحكمته ، حتى كأننا أعلم بالخلق وبمصالحهم منه : ﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ﴾ (٣) . ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٤) .

وطالما قلت ، وسأظل أقول : إن مفتاح شخصية هذه الأمة

---

(١) الأعراف : ٥١   (٢) الأنعام : ١٥٥
(٣) البقرة : ١٤٠   (٤) الملك : ١٤

ومفجر طاقاتها هو الإيمان : إيمان الإسلام ، الذى جعل هذه الأمة من قبل خير أمة أُخرجت للناس ، وحقق لها النصر على أعظم الإمبراطوريات فى الأرض ، على الرغم من قلة عددها ، وضعف عدتها .

وبهذا الإيمان انتصرت بعد على هجمات التتار الزاحفين من الشرق ، والصليبيين الزاحفين من الغرب ، وبه تستطيع اليوم الانتصار على ورثة هؤلاء وهؤلاء .

استغل اليهود طاقاتهم الروحية ودوافعهم الدينية ، فأيقظوا بها أمتهم من سبات ، وجمعوا بها طوائفهم من شتات ، وأحيوا بها لغتهم من موات ، حتى واجهونا ومعهم التوراة ، وليس معنا القرآن! تجمعوا على اليهودية وتفرقنا عن الإسلام ! تشبثوا بتعاليم التلمود ، وسخرنا نحن من البخارى ومسلم ! قال زعماؤهم فى اعتزاز : هكذا علمنا أنبياؤنا ، واعتز زعماؤنا بماركس ولينين !! .

نحن نملك أعظم عقيدة ، وأكمل رسالة ، ولدينا الكتاب الإلهى الوحيد المحفوظ من التحريف والتبديل ، ولكننا فى غمرة ساهون ، وعن مصادر قوتنا غافلون .

نحن كثرة ، ولكن - كما وصفنا الحديث النبوى : « كثرة كغثاء السيل » (١) .

---

(١) من حديث رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان .

وسر ذلك يرجع إلى خراب الباطن من قوة الإيمان الذى يصغر لدى المؤمن الدنيا ، ويحبب إليه الموت فى سبيل الله ، والذى سماه الحديث (الوهن) ، وفسره بأنه « حب الدنيا وكراهية الموت »(١) .

ولا عجب أن يهزم ألف مليون من « غثاء السيل » أمام ثلاثة ملايين من اليهود !! .

* * *

● من المسؤول ؟ :

ذلكم هو حال أمتنا من الشتات والضياع والغيبة عن الوجود ، فمن المسؤول عنه ؟

ونحن لا نريد تحديد المسئولية هنا عن ضياع أمتنا وتعطيل طاقاتها، لنحاكم المسئولين عنه ، محاكمة ثورية أو شعبية ، فمهمتنا مهمة الدعاة ، لا مهمة القضاة ، وما نريد إلا أن نعرف من أين أُتِينا ، حتى نسد مواقع الخلل ، ونعالج مواضع الداء ، ونتقى مكامن الخطر .

* * *

● مسئولية الحكام :

هل تقع المسئولية على الحكام وأصحاب السلطان ؟

إن الأكثرية تميل إلى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه ، وذلك لجملة أسباب :

---

(١) المرجع السابق .

الأول : أن الناس عادة يحبون أن يبرئوا أنفسهم ويحملوا المسئولية لغيرهم ولهذا تحب الشعوب أن تحمل عبء تبعتها على عاتق حكامها .

الثاني : أن شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير ، فهي تنفس عن نفسها حين تحملهم إثم ما أصابها .

الثالث : أن المسئولية بقدر المكنة والسلطة ، والحكام قد مكنوا وسلطوا ، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، لم يكونوا كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذينَ إنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ وأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ ونَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (١) .

ولا ريب أن الحكام يحملون قسطاً كبيراً ، وربما القسط الأكبر ، مما نحن فيه ، ولكن من المؤكد أيضاً أن الحكام فى الغالب أشبه بشعوبهم ، وهم إفراز مجتمعاتهم ، حتى الحكام الذين يُفرضون على شعوبهم ، إنما يستمر حكمهم بمالأتها لهم أو على الأقل سكوتها عنهم ، وقد ورد : « كما تكونوا يولّى عليكم » (٢) .

* * *

---

(١) الحج : ٤١

(٢) رواه الديلمي فى مسند الفردوس عن أبى بكرة بسند ضعيف ، والبيهقى فى « الشعب » بإسناد منقطع ، ورواه الطبراني بمعناه عن الحسن : أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج ، فقال له : لا تفعل . إنكم من أنفسكم أتيتم ، إنا نخاف إن مات الحجاج أو عزل ، أن يتولى عليكم القردة والخنازير !! فقد روى : « إن أعمالكم عمالكم (أى ولاتكم) وكما تكونوا يولّى عليكم » . انظر : « كشف الخفاء والإلباس » (١٦٦/٢) حديث (١٩٩٧) .

● مسئولية العلماء :

هل تقع المسئولية على العلماء ؛ لأنهم ورثة الأنبياء ، ودعاة الحق ، وهداة الخلق الذين أخذ الله عليهم الميثاق لَيُبَيِّنُنَّ دين الله للناس ولا يكتمونه .

بيد أن من العلماء من قصر فى واجب البيان والبلاغ ، ومنهم من مشى فى ركاب السلطان ، وجعل العلم خادماً للسياسة ، وجعل من نفسه جهازاً لتفريخ (الفتوى حسب الطلب) .

والحقيقة أن علماء اليوم لم يعودوا وحدهم فى الميدان كما كانوا فى العصور الماضية ، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية فى أجهزة الإعلام أشد تأثيراً فى الجماهير من أصحاب المنابر ، وإن كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها .

كما أن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام ، فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحرف والتجارة وغيرها ليكفوا أنفسهم بأنفسهم .

ولقد سئل أحد الولاة عن سر قوة الإمام الحسن البصرى وشموخه ، فقال الوالى فى صراحة : احتجنا إلى دينه واستغنى عن دنيانا !! .

فماذا يكون الحال إذا احتاج العلماء إلى ما عند الحكام ، من دنيا، واستغنى الحكام عما عند العلماء من دين ؟!!

على أن من العلماء من أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ولقى فى سبيلها من العذاب ما لقى ، بل منهم من قدم رقبته فى سبيل الله!!

* * *

● مسئولية الجماهير :

هل تقع المسئولية على الشعب ، أى على الجماهير ؟ .

الواقع أن المسئولية مشتركة ، تحمل كل الأطراف منها نصيباً ، على قدر ما لديها من إمكانات ، فمسئولية العالم أكبر من مسئولة الجاهل ، ومسئولية ذى السلطة أكبر من مسئولية من لا سلطة له ، ومسئولية ذى المال أكبر من مسئولية من لا مال عنده ، وإن كان الكل مسئولاً .

والنبى ﷺ يحمل المسئولية للجميع كل فى موقعه : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

والإسلام لا يعرف طبقة خاصة يعتبرهم وحدهم « رجال الدين » المسئولين عنه ، بل كل مسلم رجل لدينه ، والأمة كلها مسئولة بالتضامن عن فرائض الله وأحكام شريعته ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ . . . ﴾ (١) .

---

(١) التوبة : ٧١

ولقد ذكرت مرة أن أحد المستمعين قال لأحد الدعاة بعد محاضرة ألقاها : « قد مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تتكلمون ، فماذا صنعتم؟ وكان جواب الداعية مفحماً حين قال : وأنتم مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تسمعون فماذا صنعتم ؟! » .

وهذا حق ، فإن على المستمع ، كما على المتكلم ، مسئولية تحويل الكلام إلى عمل ، والأفكار إلى وقائع ، وإن اختلفت درجة المسئولية .

* * *

● مسئولية الحركة الإسلامية :

وهنا قد تشير الأصابع إلى الحركة الإسلامية الحديثة ، تحملها مسئولية ما تعانيه الأمة المسلمة من التيه والتمزق والضياع ، وكان الظن بها أن تقود مسيرتها إلى بر السلامة ، وأن تتحقق على يديها الأحلام ، وتزول الآلام بعد أن وثقت بها الجماهير الغفيرة ، والتفت حولها عشرات الألوف من رهبان الليل وفرسان النهار ، وبعد أن مضى عليها من الزمن ما يكفي لنضجها وبلوغها رشدها .

وهنا لا بد من وقفة للمحاسبة مع الحركة الإسلامية .

* * *

وقفة مع الحركة الإسلامية

كان الأمل معقوداً على « الحركة الإِسلامية » أن تقود سفينة الأمة الإِسلامية إلى الغاية المرجوة على الطريق الصحيح ، الموصل إلى شاطئ الأمان ، ومعها (البوصلة) الهادية من كتاب الله وسُنَّة رسوله ، و(الخريطة) المفصلة من شريعة الإِسلام وتراثه الخالد ، ولا أعنى بـ (الحركة الإِسلامية) حركة معينة تكاد تستأثر بهذا الوصف ، مثل حركة (الإِخوان المسلمين) أُمَّ الحركات الإِسلامية الحديثة وكبراها ، كما سماها د. إسحاق « موسى الحسينى » فى كتابه الذى كتبه عنها منذ أكثر من ثلث قرن ، وإنما أعنى بالحركة الإسلامية بالخصوص : مجموع العمل الإِسلامى الجماعى الشعبى المحتسب ، المنبثق عن ضمير الأمة ، والمعبر بصدق عن شخصيتها وآلامها وآمالها ، وعقائدها وأفكارها ، وقيمها الثابتة ، وطموحاتها المتجددة وسعيها إلى الوحدة تحت راية العقيدة منذ هدمت قلعة (الخلافة) .

ويدخل فى هذا الإِطار كل الجماعات العاملة لتجديد الدين ، وتحكيم شريعته وإحياء الأمة به ، والعودة به إلى مكانه الطبيعى والتاريخى فى قيادة المجتمع وتطبيقه فى كل مجالات الحياة : اعتقاداً وتعبداً ، وخلقاً وسلوكاً ، وفكراً وشعوراً ، وتشريعاً وتوجيهاً ، وقضاءً وتنفيذاً .

ولكن الحركة الإسلامية لم تستطع أن تصل بالسفينة إلى الشاطئ المأمول والمأمون ، وتحقق كل الآمال الكبيرة المعقودة عليها ، والتى رجاها الناس منها ورجتها هى من نفسها .

وكثرة الكلام حول هذا الإخفاق وأسبابه ، من أبناء الحركة ، ومن خصومها : أهى أسباب من خارج الحركة ؟ كالذى يصيب السفينة فى عرض البحر من أعاصير أو صخور أو تيارات أو قراصنة مسلحين ، أو غواصات معادية ، أو غير ذلك من العوارض التى تفوق قدراتها وتعترض سيرها ، وتجعلها تغير طريقها ، وقد تحدث فيها من الأضرار ما لم يكن فى الحسبان ، وقد تؤدى بها وبربانها وملاحيها وركابها - كلهم أو بعضهم - إذا لم يقدر الله لها النجاة .

أم هى أسباب ذاتية من داخل الحركة نفسها ؟ على معنى أن العيب فى السفينة ذاتها ، حيث لم تعد إعداداً كافياً لملاقاة الأنواء والعواصف عند اللزوم ، أو العيب فى الربان ؟ أو الملاحين الذين مالوا بها فى طريق الصخور أو التيارات الخطرة ، ولم يقدروا هذه الاحتمالات حق قدرها ؟

لعل الإنصاف ودراسة الواقع عن كثب يقولان : إن الأمرين معاً قد وجدا الأسباب الخارجية ، والأسباب الداخلية .

ولا يجوز لنا إذا أرّخنا للحركة أو نقدناها أن نهمل أحدهما

أو نضخمه على حساب الآخر ، ونحن فى هذه القضية - كما فى غيرها - نقع بين طرفى الإفراط والتفريط .

فمنا من ينكر أى تأثير خارجى ، ويرى أن هذه تخيلات وأوهام ، كتخيلات العرب قديماً للغول والعنقاء ! حتى قال لى صديق يوماً : ليس هناك شيء اسمه (الصليبية) التى تصورونها ، وإنما هناك مصالح - فقط - توجه الناس . وهو قول يكذبه ما لا يُحصى من الوقائع والوثائق .

وفى مقابل هؤلاء من يحصر الأسباب كلها فى التدخلات الخارجية وتأثيرها على السلطات الحاكمة فى الداخل . ويبالغ هذا الصنف أحياناً فى تضخيم دور هذه القوى الخارجية حتى تكاد تحسبها القدر الأعلى الذى له الخلق والأمر ، وأن كل القادة والسياسيين الذين نراهم يحكمون ويأمرون إنما هم (عرائس) تحركها أصابع خفية بخيوط غير منظورة ، أو هم بعبارة أخرى : أحجار على رقعة الشطرنج ، وفى النهاية : لا عيب فى الحركة ولا عليها ، وليس عليها أن تحاسب نفسها أو تراجع خططها وسياستها .

والاعتدال بين الفريقين هنا هو الأولى ، بل هو الموقف الصحيح الذى يوجبه العلم والعدل .

* * *

● مدى مسئولية الحركة :

وأعتقد أن من غير العدل أن تحمل الحركة الإسلامية مسئولية

كل ما عليه مسلمو اليوم من ضياع وتمزق وتخلف ، هو حصيلة عصور الجمود ، وعهود الاستعمار وعهود الحكم العلمانى بعد الاستقلال.

الحركة الإسلامية عليها ، ولا شك قدر من المسئولية يوازى ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيأها الله لها ، استخدمت بعضها ، وأهملت بعضاً آخر ، وأساءت استعمال بعض ثالث .

ولكن الحركة الإسلامية لها بعض من العذر - قد يقل وقد يكثر- فيما قصرت فيه أو قصرت عنه ، وأخفقت فى تحقيقه .

الحركة الإسلامية ليست هى العامل الوحيد ولا العامل الأقوى المؤثر فى سير الأحداث فى الأمة الإسلامية ، إنها تيار من تيارات ، وحركة من حركات .

وهى حركة تقاومها قوى الطغيان الخائفة من الإسلام فى الداخل ، وقوى الاستعمار الكارهة للإسلام فى الخارج ، وهى نتيجة لذلك لا تكاد تخرج من محنة إلا دخلت فى محنة ، وقيل أن تندمل جراحها تصاب بجراح جديدة .

على أنه لا ينبغى أن نجعل النجاح والإخفاق هما مقياس الصواب والخطأ ، ومعيار الحق والباطل ، فمن نجح فهو مصيب ، ومن أخفق فهو مخطئ ، فهذا مقياس مردود يرده الدين والمنطق والتاريخ

والواقع ، فالحركات الإسلامية قبل كل شيء هى دعوة للناس أن يقوّموا العوج ، ويصلحوا الفساد ، ويتداركوا ما ضاع .

وصاحب الدعوة قد ينجح ، وقد يخفق ، قد يجد الاستجابة ، وقد لا يجد إلا الرفض ، وهذا نبى الله نوح يبذل أقصى ما عنده فى دعوة قومه ، بمختلف الأساليب ، وفى مختلف الأوقات ، فلا يجد إلا الصدود والإعراض حتى لدى أقرب الناس إليه : زوجه وابنه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَاراً * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (١) .

والمؤمنون الذين ذكرهم الله فى سورة البروج قد ضحوا بأنفسهم فى سبيل الله ، ولم يحققوا فى حياتهم نجاحاً لدعوتهم .

كذلك ذكر القرآن أن من رسل الله من لقوا حتفهم وظفروا بالشهادة على أيدى أعدائهم : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(٢) .

وليس معنى هذا أن الحركة الإسلامية مبرأة من كل مأخذ ، أو أنها فوق النقد والنصح ، كما يتوهم بعض المخلصين من أتباع الحركة ، حيث يخلط بين الحركة الإسلامية والإسلام ذاته . فنقد

---

(١) نوح : ٥ - ٧ (٢) البقرة : ٨٧ .

الحركة يعنى لديه نقد الإسلام . كما يصنع هذا بالفعل بعض العلمانيين الذين ينقدون الحركة ، فينقدون الإسلام وأحكامه وشرائعه.

إن الحركة الإسلامية ليست إلا حركة بشر يجتهدون لنصرة الإسلام وتحقيق رسالته فى الحياة ، ويتخذون من الوسائل كل ما يرون أنه أقرب إلى تحقيق أهدافهم فى خدمة دينهم ، ولم يدعوا أن اجتهادهم هذا وحى لا يقبل المناقشة ، كما لم يزعموا أن أحداً منهم يؤخذ منه ولا يرد عليه .

ولهذا كان علينا أن نبحث داخل جسم الحركة عن الأسباب الذاتية التى عاقتها عن بلوغ غاياتها فى إقامة المجتمع الإسلامى المنشود واستئناف الحياة الإسلامية القائمة على عقيدة الإسلام وشريعته . وأجتزئ هنا بجملة من الأسباب البارزة :

● **أولاً : ضعف النقد الذاتى :**

أول ما يشكو منه ذوو البصائر داخل الحركة الإسلامية بمعناها الواسع أن النقد الذاتى فيها ضعيف إن لم يكن غائباً فى بعض الأحيان .

والنقد الذاتى بتعبيرنا الإسلامى هو محاسبة النفس ، وهو شأن «النفس اللوامة » التى نوه بها القرآن . وجاء فى الحديث : «الكيس من دان نفسه » [1] أى حاسبها .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وحسنه ، وابن ماجه والحاكم وصحَّحه وخالفه الذهبى .

وقال عمر : (حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم) .

وقال بعض السلف : المؤمن أشد حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح .

وكما أن على الفرد أن يحاسب نفسه على تفريطه فى جنب الله ، أو تقصيره فى حقوق الناس ، محاولاً أن يجعل يومه خيراً من أمسه، وغده خيراً من يومه ، فإن على الجماعة أن تحاسب نفسها كذلك .

والله قد عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة ، ولكنه لم يعصم أى جماعة منها أن تخطئ أو تضل ، وخصوصاً فى القضايا الاجتهادية التى تتعدد فيها وجهات النظر ، وتعتبر المواقف فيها قابلة للصواب والخطأ .

والخطأ إذا كان عن اجتهاد فصاحبه مأجور عليه ، فرداً كان أو جماعة . ولكن الاجتهاد فى مجال العمل كالاجتهاد فى مجال الفتوى ، يتغير بتغير الزمان والمكان والحال .

والخطأ يمكن أن ينشأ عن الضعف البشرى وهو لا ينافى الإيمان أو التقوى ، لأنه من لوازم البشرية وكل بنى آدم خطَّاء ، وقد زلقت إليه أقدام من هم أكمل منا إيماناً ، وأرجح عند الله ميزاناً ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وهو ما سجله عليهم القرآن الكريم فى غزوة أُحُد بقوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا ، قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلَى

كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) . وقد علق القرآن على بعض مظاهر الضعف التى بدت منهم فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾(2) .

وقد قال بعض الصحابة : (ما كنت أعرف أن فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية) .

وينبغى للحركة الإسلامية أن تقف بين الحين والحين مع نفسها للتقويم والمراجعة ، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مزا ، والنقد وإن كان موجعاً ، كما كان عمر – رضى الله عنه – يقول : (رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوب نفسى) .

والحركة الإسلامية ليست ملك نفسها ، وإنما هى ملك الأمة الإسلامية كلها ، وملك الأجيال الإسلامية القادمة أيضاً ، فمن حقها أن تعرف ما فى هذه الحركة من مواضع القوة ، وما يؤخذ عليها من نقاط الضعف ، لتأخذ منها العبرة .

بعض المخلصين من أتباع الحركة الإسلامية يخافون من فتح باب النقد الذاتى أن يلجه من يحسنه ومن لا يحسنه ، فقد يفسد أكثر مما يصلح .

---

(1) آل عمران : ١٦٥

(2) آل عمران : ١٥٢ .

وهذا هو نفس العذر الذى جعل بعض العلماء قديماً يتواصون بسد باب الاجتهاد حتى لا يدخل منه الأدعياء والمتطفلون ، فيقولوا على الله ما لا يعلمون ، ويفتوا بغير علم ، فيَضِلُّوا ويُضَلُّوا .

والواجب هنا وهناك أن يفتح الباب لأهله القادرين عليه ، ولا يبقى فى النهاية إلا النافع ، ولا يصح إلا الصحيح : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾(١) .

ويخافون كذلك أن يصور النقد لأفكار بعض قادة الحركات الإسلامية بصورة الاتهام لهم ، أو الوقوف مع خصومهم ضدهم ، فمن نقد رأياً لمثل « حسن البنا » أو « أبى الأعلى المودودى » أو « سيد قطب » ، أو « مصطفى السباعى » ، أو غيرهم من القادة الفكريين والحركيين . فكأنه يوجه اتهاماً إلى هؤلاء ، أو يطعن فى إمامتهم وبطولتهم .

مع أن نقد الفكر - سواء كان علمياً أم حركياً - لا يعنى بحال النيل من مكانة صاحبه علمياً أو دينياً أو خلقياً .

على أن فكر هؤلاء لم يعد ملكاً لهم ، بل هو ملك الأجيال المسلمة ، فمن حقها ، بل من واجبها - أن تعرف ما فيه من مواطن الإجماع والخلاف ، والقرب من الصواب أو البعد عنه .

---

(١) الرعد : ١٧

وأصحاب هذه الأفكار والمناهج لم يزعموا يوماً لأنفسهم العصمة ، ولم يضفوا على آرائهم واجتهاداتهم أى لون من القداسة ، بل أكد « حسن البنا » فى (أصوله العشرين) أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبى ﷺ .

وسيد قطب غيّر من مواقفه الفكرية خلال مراحل حياته الحافلة ، وانتقل من مجرد أديب ناقد مبهور ببلاغة القرآن (مرحلة التصوير الفنى ، ومشاهد القيامة فى القرآن) إلى كاتب إسلامى يدعو إلى عدالة الإسلام ونظامه للحياة (مرحلة العدالة الاجتماعية والسلام العالمى فى الإسلام) ، ثم إلى داعية حركى له أفكاره الخاصة فى منهج التغيير والنظرة إلى المجتمع ، والدعوة إلى العقيدة بدل الدعوة إلى النظام (مرحلة المعالم ، والطبعة الثانية من «الظلال ») . وقد ذكر هو ذلك عن نفسه لبعض تلاميذه . فقال له أحدهم : إذن أنت لك مذهبان : قديم وجديد كالشافعى ، فقال له: نعم ، ولكن الشافعى غير فى الفروع ، وأنا غيرت فى الأصول[1] !!

ومن يدرى لعل البحث الناقد يجد أن مذهبه القديم - فى بعض القضايا على الأقل - أدنى إلى الصواب من مذهبه الجديد .

والمودودى رحب بنقد السيد « أبى الحسن الندوى » فى بعض ما كتبه ، ولم يضق به ذرعاً ، كما ضاق أتباعه بذلك .

---

(١) ذكر ذلك الدكتور محمد المهدى البدرى فى مقال له بمجلة (الدعوة) نقلاً عن بعض ثقات تلاميذه داخل المعتقل .

ويخافون كذلك أن يستغل خصوم الحركة هذا النقد الذاتى للتشويش على الحركة ورجالها ، فهم يجمعون نقاط الضعف ، ويعرضونها من وجهة نظرهم ، مكبرة مضخمة ، غير منسوبة إلى محيطها وظروفها ودوافعها .

وقد لمست بنفسى هذا فى بعض ما كتبته فى كتابى « الحل الإسلامى » عن عوائق الحركة الإسلامية من داخلها ، فأخذها بعض ذوى النزعة اليسارية ، فقدم فيها وأخر ، وحذف واختصر ، وقدمها على طريقة الشاعر السكير الذى قال :

ما قال ربك : وَيْلٌ للألى سكروا   بل قال ربك : وَيْلٌ للمُصَلِّينَا!

ورغم هذا لا يجوز أن يكون مثل هذا الاستغلال أو التحريف مانعاً من النقد العلمى المخلص ، فإن كلمة الحق لا ينبغى أن تختفى خشية من كلمة الباطل ، وقد حرف الناس كلمات الله عن مواضعها، ولكنها بقيت مضيئة هادية ، وكلامنا نحن البشر ليس أولى بالحفظ من كلام الله .

* * *

• ثانياً : الانقسام والاختلاف :

ومن آفات الحركة الإسلامية المعاصرة هذا الانقسام أو التمزق الذى نشهده بين فصائلها وجماعاتها المتعددة ، فكل جماعة منها ترى نفسها وحدها جماعة المسلمين لا جماعة من المسلمين ، وأن

معها الحق كله ، وليس بعدها إلا الضلال وأن دخول الجنة والنجاة من النار حكر على من اتبعها ، وأنها وحدها (الفرقة الناجية) ومن عداها من الهالكين !!

ومن لم يقل ذلك منهم بلسان المقال ، قاله بلسان الحال ، وكأن عدوى التمزق فى محيط الأمة ، انتقلت إلى محيط الحركة ، وهو ما يشكو منه المخلصون الغيورون على نجاح العمل الإسلامى ، وعلى استقامة طريقه ، وهى شكوى ستطول إذا ظل هذا الموقف الفكرى لهذه الجماعات على هذا النحو ، الذى يقطع الطريق على أى تقارب حقيقى يؤلف بينها .

وأنا أقول : تقارب ، ولا أقول : وحدة . لأنى لا أنكر تعدد الجماعات العاملة للإسلام ، ولا أطمع أن ينضوى الجميع فى جماعة واحدة ، يضمها تنظيم واحد ، تحت قيادة واحدة ، فهذا حلم جميل ، ولكن دون تحقيقه صعوبات لا يسهل تذليلها ، إلا أن ينقلب البشر إلى ملائكة أولى أجنحة .

ولا مانع من التعدد إذا كان تعدد تنوع وتخصص ، لا تعدد تضاد وتناقض .

فجماعة تتخصص فى تحرير العقيدة من الخرافة والشرك . وتصحيح عقائد المسلمين وفق الكتاب والسُّنَّة .

وأخرى تتخصص فى تصحيح العبادات وتطهيرها من البدع والشوائب وتفقيه الناس فى دينهم .

وثالثة تعنى بمشكلات الأسرة والمرأة ، والدعوة إلى الحجاب الشرعى ، ومقاومة التبرج والانحلال .

ورابعة تعنى بالعمل السياسى ، وخوض معارك الانتخابات والوقوف فى وجه الأحزاب العلمانية .

وخامسة تهتم بالعمل التربوى أو العمل الاجتماعى وتبذل فيه جهدها ووقتها .

وسادسة تعمل فى هذه الميادين كلها ، أو فى مجموعة منها ، حسبما يتيسر لها .

يمكن أن تعمل بعض الجماعات مع الجماهير ، وبعضها الآخر مع المثقفين .

يخاطب الأولون العواطف ، ويستثيرون مشاعر الإيمان ، على حين يخاطب الآخرون العقول والأفكار ، وبخاصة عقول أولئك المغزوين للثقافة الغربية بشقيها : الليبرالى والاشتراكى .

وهكذا تتنوع الجماعات ، ويتنوع عملها وفق اهتمامها وما ندبت نفسها لخدمته ، ومن تفرغ لشىء تحسنه .

وإن من أسباب الفرقة أحياناً الحرص البالغ على الوحدة : وحدة العاملين للإسلام ، أو ما سمى بـ (حركة إسلامية عالمية واحدة) ، فمن أداه اجتهاده إلى أسلوب مغاير فى العمل ، أو الحركة ، اتهم بالانشقاق أو بالخروج على الصف ، أو تمزيق الوحدة أو غير ذلك

من التهم التى لا يترتب عليها إلا المزيد من الفرقة فى الصفوف ، وتباعد القلوب ، وبهذا تكون المبالغة فى الحرص على الوحدة سبباً إلى الفرقة .

وأولى من ذلك الاعتراف بتعدد الاجتهادات وتنوع الأساليب بناء على تعدد زوايا الرؤية ، والاختلاف فى ترتيب الأهداف ، وفاعلية الوسائل ، وتقدير الأولويات ، ومدى المعينات والعوائق إلى غير ذلك ، مما يتغير فيه الاجتهاد أو الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والملابسات . ولكل مجتهد نصيب ، ولكل امرئ ما نوى .

هذا شىء حسن ونافع ، على شرط أن يحسن الجميع الظن بعضهم ببعض ، وأن يتسامحوا فى مواضع الخلاف ، وأن يتعاونوا ويتناصحوا فيما بينهم بالمعروف ، وأن يقفوا صفًا واحدًا فى القضايا الكبرى ، قضايا الوجود الإسلامى والمصير الإسلامى ، وأن يحاربوا فى جبهة واحدة العدو المشرك ، مثل اليهودية والصليبية والشيوعية والعلمانية ، وأن يذكروا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (١) .

ومن الواجب على قادة الحركة الإسلامية اليوم أن يحاولوا التقريب والتوفيق بين الجماعات الإسلامية العاملة للإسلام ، والتى

---

(١) الصف : ٤ .

يتحمس لكل منها جماعات من الشباب المثقف فى البلاد العربية [1] وأخص بالذكر هنا :

* جماعة الإِخوان المسلمين .
* جماعة السلفيين .
* جماعة الجهاد .
* حزب التحرير الإِسلامى .
* جماعة التبليغ .

فينبغى أن يدعو المفكرون والمنظرون لهذه الجماعات إلى ندوات أو حلقات دراسية مهمتها : إِبراز مواضع الاتفاق التى يجب التعاون فيها ، وتقريب شقة الخلاف فى مواضع الاختلاف التى يسع كل مخالف فيها صاحبه ، وتخفيف حدة الجدل فى الجزئيات التى لا يطمع عاقل فى إِنهائها ، وتحسين الظن بالآخرين فيما لا يوافقون فيه من الرأى أو العمل . . والخروج من هذه الدراسة بورقة عمل أو وثيقة شرف ، يمكن أن يلتقى الجميع عليها ، ويقفوا صفاً واحداً فى المعركة الواحدة ضد أعداء الإِسلام وما أكثر عددهم ، وأقوى عدتهم ، وما أعظم كيدهم .

---

(١) وفى غير البلاد العربية توجد : « الجماعة الإِسلامية فى باكستان والهند ، وحزب السلامة وجماعة النورسيين فى تركيا ، وجماعة الشباب المسلم والحزب الإِسلامى فى ماليزيا » وغيرها .

ومن الخطأ - فى رأيى - محاولة تضخيم الفروق ، وتوسيع الهوة بين هذه الجماعات ، وكلها تعمل فى الدعوة إلى الله ، بل الواجب تضييق الفجوة وإزالة الجفوة ما وجد إلى ذلك سبيل .

وأعتقد أن (الأصول العشرين) التى وضعها الإمام الشهيد «حسن البنا » ، وجعلها أساسًا لوحدة الفهم عند العاملين للإسلام، والتى كان قد قدمها فى الأصل لاتحاد الجماعات الدينية فى مصر ، لتلتقى عليها ، بدل الفرقة وتبادل الاتهامات . . . والتى صاغها صياغة فيها كثير من الحكمة والاعتدال . . . هذه الأصول يمكن أن تكون مرتكزاً للقاء فكرى مشترك بين الجماعات المذكورة ، إذا صدقت النيات ، هذا إلى جوار (قاعدة المنار الذهبية) الشهيرة التى تقول : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ولم أر مثل الشهيد « البنا » فى حرصه على التأليف بين الجماعات العاملة للإسلام وإلحاحه على ذلك فى شتَّى المناسبات ، واتخاذه كذلك أرفق الأساليب للوصول إلى القلوب ، يقول فى (رسالة المؤتمر السادس) :

« وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعاً على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء ، نحبها ونعاونها ، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق فى ظل التعاون والحب ، ولا يباعد بيننا وبينها رأى فقهى أو خلاف مذهبى ، فدين الله يسر ، ولن يشاد

الدين أحد إلا غلبه ، ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى ، إذ نتحرى الحق فى أسلوب لين ، يستهوى القلوب ، وتطمئن إليه العقول ، ونعتقد أنه سيأتى اليوم الذى تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية ، والحواجز النظرية وتحل محلها وحدة عملية ، تجمع صفوف الكتيبة المحمدية ، حيث لا يكون هناك إلا إخوة مسلمون ، للدين عاملون ، وفى سبيل الله مجاهدون : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [١] . اهـ .

ولا ينبغى للحركة الإسلامية أن تهمل الشخصيات القوية العاملة فى ميدان الدعوة إلى الإسلام ، فهى - وإن كانت تعمل منفردة - لها تأثيرها فى محيطها وتلامذتها . ولكل منهم مدرسته ومريدوه .

ولا ريب أن منهم الصادقين المخلصين الذين يستطيعون أن يحركوا الرأى العام ، ويوجهوه ، إن صح منهم العزم ، وصدق الاتجاه .

ودعوتنا إلى العمل الجماعى المنظم المخطط لا يعنى أن نلغى اعتبار من يعملون خارج الأطر الجماعية ، فقد يكون لأحدهم من الأعذار أو الموانع المادية أو المعنوية ما يعوقه عن العمل الجماعى النظامى . وإن كان الواجب عليه أن يكون بفكره وقلبه وجهده عونًا لكل عمل جماعى ملتزم بشريعة الإسلام ، ولو لم يكن عضوًا رسميًا فيه .

---

(١) المائدة : ٥٦ .

ومثل ذلك بعض الشخصيات النظيفة المخلصة لدعوة الإِسلام التى تعمل فى بعض المجالات الرسمية كوزارات الأوقاف والشئون الدينية ، والمجامع والجامعات الإِسلامية ونحوها ، فلا يحسن تجاهلها لمجرد ارتباطها الحكومى ، فقد تستطيع بما لديها من أجهزة ومؤسسات تقديم خدمات جليلة للعمل الإِسلامى .

* * *

● ثالثًا : غلبة الاتجاه العاطفى على الاتجاه العقلى والعلمى :

ومن آفات الحركة الإِسلامية غلبة الناحية العاطفية على الناحية العقلية العلمية .

*** أهمية العاطفة فى الحركة الإِسلامية :**

ولا أريد بهذا إلغاء الجانب العاطفى من الحركة بحيث تقوم على (العقلانية) الخالصة ، بعدًا عن أى تأثير للمشاعر . فهذا مخالف لطبيعة الحركة ، بل لطبيعة الإِسلام .

فالإِسلام - مع احترامه للعقل ودعوته للنظر والفكر - ليس مجرد فلسفة عقلية منطقية جامدة ، إنه يشتمل على جانب عاطفى فى تعاليمه لا ينكره أحد ، مثل الحب فى الله والبغض فى الله ، والفرح بتوفيق الله ، والحزن على معصية الله ، والخوف والرجاء . وغيرها من (الأحوال) النفسية التى عنى بها وفصلها أهل التصوف فى كتبهم ، كما ترى ذلك واضحًا فى مثل (منازل السائرين)

للهروى ، وشرحه (مدارج السالكين) لابن القيم ، وغيرهما من كتب القوم .

فهذا جانب لا خلاف عليه ، ولا جدال فيه ، لأن الإسلام جاء يخاطب فى الإنسان عقله وقلبه معًا ، ولهذا ذم الذين لا يعقلون ولا يفقهون ، كما ذم الذين لا تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، فلهذا كان اهتمامه بالجانب العقلى والعاطفى معًا ، وحسبنا هنا الحديث المتفق عليه :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود فى الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يقذف فى النار » .

وطبيعة الحركة الإسلامية أنها تعتبر إحياء المشاعر الإيمانية ، وإلهاب العواطف الإسلامية جزءاً من رسالتها ، التى هى رسالة الإسلام .

وهذا الجانب لا بد منه للحركة لتوفير قدر من الحماسة يدفع إلى العمل وإلى البذل ، وكذلك لربط القلوب برباط المحبة والأخوة التى قد ترتقى فتصل إلى درجة الإيثار .

والجماعة المسلمة المرجوة لنصرة الإسلام ، كما تقوم على وحدة المفاهيم ووحدة التنظيم ، تقوم على وحدة المشاعر ، وبعبارة أخرى، على تآلف القلوب ، وارتباطها بعروة الحب فى الله ، وهو

مَا مَنَّ الله على رسوله بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

وكان الشهيد « حسن البنا » فى أحاديثه الأسبوعية - أحاديث الثلاثاء - حريصًا على أن يبدأها دائماً بإحياء القلوب بالإيمان والحب. وهو ما كان يسميه (عاطفة الثلاثاء) .

ولهذا جعل (الأخوة) من أركان البيعة ، وكان من كلماته المأثورة : إن دعوتنا تقوم على دعائم ثلاث : الفهم الدقيق ، والإيمان العميق ، والحب الوثيق .

هذا مكان العاطفة فى تعاليم الإسلام . وفى الحركة الإسلامية .

* * *

● ماذا نريد بغلبة العاطفية ؟ :

إذن ما الذى نقصده هنا ؟

الذى نقصده : أن تغدو العواطف والانفعالات هى الحاكمة على التصرفات والعلاقات والغالبة على التفكير والسلوك ، والموجهة لأحكامنا على الأعمال والأقوال والمواقف والأشخاص والهيئات ، وبهذا تصبح العاطفة فوق العقل ، والهوى قبل العلم .

---

(١) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣

وهذا الاتجاه الجانح إلى تغليب العاطفة على العقل والعلم له دلائل ومظاهر عدة ، أذكر منها ثلاثة :

١ - **قصور الدراسة والتخطيط :**

فرغم أن الإسلام يدعو إلى العقل والعلم ، ويحث المسلم على احترام الأسباب ، ومراعاة السنن وأخذ الحذر ، والإعداد للغد - نرى الحركة الإسلامية ضعيفة الاهتمام بهذا الجانب .

وقد ذكرت يوماً أمام داعية كبير ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع ، فكان جوابه : « هل تحتاج الدعوة إلى الله ، وتذكير الناس بالإسلام ، إلى تخطيط وإحصاء ؟! » .

هذا مع أن النبى ﷺ بعد هجرته إلى المدينة طلب إحصاء بعدد من يلفظ بالإسلام ، فأحصوا فكانوا : ألفاً وخمسمائة . كما روى ذلك البخارى ومسلم .

وهذا يدل على أن الرسول الكريم - أراد أن يعرف مدى القوة البشرية لديه معرفة علمية دقيقة ، ليكون تقديره ومواقفه مبنية على دراية وبينة .

لابد إذن من دراسة واقع الأمة الإسلامية ، وواقع الحركة الإسلامية ، وواقع القوى المعادية للإسلام ، وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعاً ، وتحليلها من منظور علمى موضوعى ، والخروج بالنتائج اللازمة لتوضع موضع التنفيذ إثباتاً أو نفياً .

ولا زال بعض المنتسبين للعمل الإسلامى يضيقون بما يدعو إليه البعض من ضرورة (الدراسة) أولًا . وغدت كلمة (الدراسة) لأى فكرة أو مشروع تعنى عندهم (التسويف) وهو يعنى (التمويت) بالقتل البطئ !! .

وكان لنا صديق يقول إذا طالبنا بالدراسة والبحث على غرار ما يفعله الاقتصاديون فيما يسمونه (دراسة الجدوى) قال : الدراسة تأتى بعد . المهم أن نبدأ العمل ونمضى ولا نقف ساكنين . أنا أؤمن بالأعمال الناقصة ! لنبدأ العمل ناقصًا أو خاطئًا ، ثم يأتى غيرنا فيكمل النقص ، ويصحح الخطأ .

وهذه فلسفة لها دوافعها ومبرراتها . ولكن الذى أكدته التجارب أن ترقيع العمل المغلوط ، أو تقويم المشروع الأعوج ، أصعب بكثير من بدئه من الألف بداية صحيحة .

وقد يبذل المخلصون جهوداً مضنية فى الترقيع والتصحيح والتقويم ثم لا تؤتى أكلها ، وقد تحقق بعض النتائج ، ولكن بعض الأمور تستعصى على الإصلاح ، لأنها بدأت من أول الأمر غير صحيحة ولا مستقيمة .

ومن أهم ما ينبغى التخطيط له : توجيه المواهب الشابة إلى التخصص على أعلى المستويات فى كل مجالات الحياة : علمية وشرعية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية وإعلامية وإدارية وتخطيطية وغيرها ، من كل ما يسد الثغرات ويلبى

الحاجات، فى مجتمع متحضر معاصر ، فى عالم (الكومبيوتر) والأسلحة النووية وغزو الفضاء ، والهندسة البيولوچية .. عالم يضيف كل يوم جديداً بما يشبه الوثبات فى العلم والتكنولوچيا ، والمسلمون يتصارعون فيما بينهم ، أو يلهون والدنيا تجد ، أو يلوكون ألسنتهم بما لا يفيد .

فلا بد من التخصص الذى يعتبر فى نظر الشريعة من فروض الكفايات الواجبة على الأمة مجتمعة ، ولا يجوز أن تتكدس القدرات والكفايات فى مجال ، على حين يغفل مجال آخر ، يحتاج إلى من يقوم به فلا يجد .

وقد عاب القرآن الكريم على المسلمين فى عصر النبوة أن يتجهوا كلهم إلى الجهاد ، على ماله من منزلة وفضل ، غافلين عن ميدان آخر لا يقل عنه أهمية ، وهو الفقه فى الدين ، يقول تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١) .

ونظرًا لأننا نرتجل ، وخصومنا يخططون ، نراهم يسرقون ثمرات كفاحنا الإسلامى ونحن غافلون .

إن حركات التحرير ضد الاستعمار كله : الغربى والشرقى

---

(١) التوبة : ١٢٢

والصهيونى كان محركها ومطلق شرارتها ، ومفجر طاقاتها ، وقائد كتائبها ، هو الإسلام ، وهذا باعتراف المراقبين المحايدين ، والمؤرخين المنصفين ، من الشرق ومن الغرب .

ولكن الذى يؤسف له : أن الإسلام يزرع ولا يحصد ، ويغرس ولا يجنى ، بل نرى آخرين من العلمانيين والحاقدين والكائدين فى الخفاء من أعداءِ الإسلام يقفون متفرجون أو متربصون ، حتى إذا تهيأت الثمرة للنضج ، وثبوا فجأة إلى مقدمة صفوف الجهاد والنضال وأحدثوا دوياً هائلاً ، وفرقعة ضخمة تجذب إليهم الأسماع والأبصار والقلوب ، لينفردوا هم بالغنيمة ، ويقطفوا وحدهم الثمرة : ثمرة النصر .

وكثيراً ما نراهم يلبسون لبوس الإسلام ، ويتحدثون باسمه وأفئدتهم منه هواء ، وحياتهم غريبة عنه كل الغربة ، فتخدع الشعوب المسلمة الطيبة بمظهرهم وقولهم ، وتحسب أنهم على شىء ، حتى إذا تمكنوا وأمسكوا بالزمام أعلنوا عن هويتهم ، وتبرأوا من الإسلام الذى وصلوا باسمه وبقوته إلى هذه النتيجة .

وهذا ما حدث بوضوح مع كمال أتاتورك ، الذى قاد الشعب التركى باسم الإسلام وتحت لوائه ، فبذل الشعب من دمه ونفسه وماله راضياً حتى انتصر ، وهلل الناس فى أنحاء العالم الإسلامى وكبروا لـ (الغازى) مصطفى كمال كما كانوا يلقبونه ، وقال شوقى فيه قصيدته الشهيرة :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب!يا(خالد)الترك جدد(خالد)العرب !

ولم يكد الناس يفرحون بالنصر ، حتى انقلب العرس إلى مأتم، وإذا (الغازى) الذى ظنه الناس سيفًا مسلولاً للإسلام يصبح خنجراً مسمومًا فى ظهره أو صدره . وإذا هو يوجه معوله لهدم (الخلافة) وهدم الإسلام كله معها ، وإلغاء وجوده الاجتماعى من حياة الشعب التركى المسلم .

وكانت صدمة فاجعة للعالم الإسلامى من مشرقه إلى مغربه . عبر عنها أمير الشعراء شوقى فى رائعته التى رثى بها الخلافة :

عادت أغانى العرس رجع نواح ونعـيت بين معالم الأفـــراح
كفـــنت فى يوم الزفاف بثوبه ودُفِنت عند تبلـج الإِصباح !!

* * *

٢ - العجلة :

وهى من آثار غلبة العاطفة والانفعال على منطق العقل والعلم والتخطيط .

فالمستعجل لا صبر له ولا أناة عنده ، فهو يريد أن يزرع اليوم ليحصد غداً ، بل يريد أن يغرس فى الصباح ليجنى فى المساء ، وهذا مخالف لسنن الله تعالى فى الكون وفى الاجتماع البشرى . فكل شىء له أجله المسمى وأطواره المعلومة .

إن الله خلق العالم فى ستة أيام ، وكان قادراً أن يقول له : كن فيكون . . ولكن أراد الله أن يعلمنا الأناة .

وكان قادراً أن ينصر نوحاً - عليه السلام - والذين آمنوا معه من

أول الأمر ولكنه تركه يدعو ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم نجاه بسفينة يصنعها بيديه ، ولم تنزل له من السماء .

وكان قادراً أن ينصر رسوله محمدًا ﷺ ويهلك أعداءه بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، منذ فجر الدعوة ، ولا يعرضه هو وأصحابه للابتلاء والفتنة .

بل إنه لم يأذن لهم بالجهاد والدفاع عن أنفسهم أمام القوة الطاغية وقال لهم : كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ، حتى غدت لهم شوكة ودار ، فأذن لهم بالقتال ، وإن الله على نصرهم لقدير .

ولا غرو أن أمر الله رسوله والمؤمنين معه بالصبر وعدم الاستعجال حتى يقضى الله أمره .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَهُمْ ﴾ (١) .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَق وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾(٢) .

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الأحقاف : ٣٥ (٢) الروم : ٦٠

(٣) النحل : ١٢٧

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

إن الاستعجال جعل الحركة الإسلامية تخوض معارك قبل أوانها ، وتخوض أخرى أكبر من طاقتها ، وتحارب الشرق والغرب مرة واحدة ، وتدخل نفسها مداخل لا تستطيع الخروج منها . مع أن الله لم يكلفنا إلا وسعنا ، ولا يحل لنا أن نكلف أنفسنا من البلاء مالا نطيق ، فنعرضها للفتنة . وقد قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، وقال رسوله : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » - فجعل التغيير درجات ، ورتبها حسب الاستطاعة ، ولا جناح على المسلم إذا بذل ما يستطيعه وترك ما لا يستطيع .

وقد ذم الله ورسوله العجلة ، لما تورثه من سوء العاقبة .

وحسبنا من إشارات القرآن التى لها دلالتها فى بيان سوء مغبة العجلة وإن دفع إليها أنبل الغايات - قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (٢).

---

(١) آل عمران : ٢٠٠

(٢) طه : ٨٣ - ٨٥

يقول العلامة « الآلوسى » فى تفسيره : « والفاء » - فى قوله : ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا ﴾ - لتعليل ما يُفهِمه الكلام السابق ، كأنه قيل : لا ينبغى عجلتك عن قومك ، وتقدمك عليهم ، وإهمال أمرهم، لوجه من الوجوه ، فإنهم لحداثة عهدهم باتباعك ، ومزيد بلاهتهم وحماقتهم ، بمكان يحيق فيه مكر الشيطان ، ويتمكن من إضلالهم[1] . . .

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً لما أحدثوا بعده ، وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه : ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلا تَتَّبِعَنِ ، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى * قَالَ يَابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلا بِرَأْسِى ، إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [2] .

فكان موقف هارون الأناة والتريث - رغم بشاعة الجريمة - حفاظاً على وحدة الجماعة ، حتى يعود أخوه ، ويتشاورا فى علاج الموقف .

وفى الحديث : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » [3] .

« يستجاب للعبد ما لم يعجل : يقول : دعوت ، فلم يستجب لى » [4] .

---

(١) « روح المعانى » (٢٤٣/١٦) . (٢) طه : ٩٢ - ٩٤

(٣) رواه الترمذى وحسّنه من حديث سهل بن سعد ، ورواه ابن أبى شيبة وأبو يعلى من حديث أنس بلفظ : « التأنى من الله . . الحديث » .

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وكم تمنيت - وأعلنت فى مناسبات مختلفة ، للحركات الإسلامية، فى الفترة التى كان لها فيها حرية التحرك والنشاط ، أن تدخر قوتها، ولا تورط نفسها فى مواجهات ومعارك ، يدفعها إليها المغامرون المتعجلون ، أو يستدرجها إليها المخططون الماكرون ، وأن تشغل نفسها بنشر الدعوة إلى الإسلام الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة ، على كل صعيد ، وتربية الأجيال الصاعدة بهذا الإسلام وله ، تربية متكاملة : عقلية وروحية وبدنية واجتماعية ، والاندماج فى المجتمع ، لحل مشكلاته ، وتخفيف معاناته ، وتسديد خطواته، ورعاية حاجاته ، وأن تدع التفكير فى استخدام القوة والعنف ، والاصطدام بالسلطات الحاكمة ، لمدة عشرين سنة . . . وستجد بعدها أنها أحدثت (ثورة سلمية) فى المجتمع كله ، وحققت انقلاباً فكرياً ونفسياً وأخلاقياً ، من غير أن تشهر سلاحاً ، أو تعلن جهاداً .

والمخوف هنا دائماً أن القوى الخائفة من الإسلام والمناوئة له لا تدع الحركة الإسلامية حتى تمتد وتنمو وتتسع ، ولهذا تفاجئها بضربات سريعة حتى تمزق شملها ، وتعوق سيرها ، ولا تمكنها من التوسع والانتشار المأمول .

وهذا أمر وارد ، ولكن الحركة أيضاً عليها بعض اللوم ، فإنها كثيراً ما تستفز تلك القوى المتربصة ، وتستثير فيها غرائز الخوف ، حين تستعرض عضلاتها ، وتظهر قوتها الجماهيرية بصورة

أو بأخرى ، وكانت الحكمة تقتضى أن تحسب كل خطواتها ، ولا تمكن عدوها منها ما استطاعت ، وتسأل الله العافية ، فإذا وقع البلاء بقدر الله ، لم يكن لها إلا الصبر والمصابرة .

*

٣ - المبالغة :

ومن توابع العاطفية : المبالغة والتهويل ، وهذه آفة من آفات الأمة كلها فنحن للأسف فى جل الأمور نقف فى طرفى الإفراط والتفريط . وقلما نقف موقف (الوسط) الذى مدح الله به هذه الأمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) .

وقد انتقل هذا إلى الحركة الإسلامية . فأصبحت المبالغة والتهويل سمة غالبة : فى وصفها لنفسها ، وفى نقدها لخصومها ، وفى غير ذلك من المواقف .

ولهذا شاع (أفعل التفضيل) على ألسنة دعاتها ، وأقلام كتابها : الأعظم ، والأقوى ، والأفضل ، والأمثل ، والأحقر ، والأضعف، والأسوأ ، كما شاعت الأوصاف الضخمة والفخمة والألفاظ الرنانة ، والجمل المثيرة .

إننا نبالغ فى الإعجاب بأنفسنا ، ونبالغ فى النقد لغيرنا .

ولا ينازع عاقل أن نعتز بأنفسنا وحضارتنا ، فهذا هو الواجب فى

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

أمة تريد أن تنهض وتتبوأ مكانها تحت الشمس . وخصوصاً عندما تواجه بغزو حضارى وثقافى يريد أن يقتلعها من جذورها ، ويشككها فى وجودها ذاته .

ولكن الخطر أن يستحيل هذا الاعتزاز إلى عجب وغرور يعمى ويصم والعجب أحد المهلكات الثلاث كما فى الحديث الشريف (١) .

وهذا ينطبق على الأفراد وعلى الجماعة .

وقد أشار إلى ذلك القرآن حين قال : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ، إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ (٢) .

وقال ابن مسعود : « إنما الهلاك فى اثنين : العجب والقنوط » .

وعلق على ذلك الإمام « الغزالى » فقال : « إنما جمع بينهما ، لأن السعادة إنما تنال بالسعى والطلب ، والجد والتشمر ، والقانط لا يسعى ولا يطلب لأن ما يطلبه غير ممكن حصوله فى نظره .

والمعجب يعتقد أنه قد سعى ، وأنه قد ظفر بمراده ، فلا يسعى . فالموجود لا يطلب ، والمحال لا يطلب ، والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة ، ومستحيلة فى اعتقاد القانط ، فمن ههنا جمع بينهما » اهـ .

---

(١) ونصه : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » . رواه الطبرانى فى « الأوسط » عن أنس وعن ابن عمر ، وذكره الألبانى فى « صحيح الجامع الصغير » .

(٢) التوبة : ٢٥

ونحن نبالغ فى نقدنا لغيرنا وخصوصاً للحضارة الغربية ، فنحن لا نجحد أن فى الحضارة الغربية آفات أساسية لا تنفك عنها ، لأنها ملازمة لها ، لأنها جزء من بنيتها ، كالنظرة المادية ، والنفعية والعنصرية ، ونحوها .

ولكن لا ينبغى أن ننسى أن فى هذه الحضارة نقاط قوة يجب أن تذكر لها من باب الإنصاف أولاً ، ومن باب معرفة الخصم على حقيقته ثانياً .

من ذلك : قيامها على العلم التجريبى ، وحسن الإدارة ، والتنظيم ، والتعاون ، أو علم الفريق ، والاهتمام بالأخلاق الاجتماعية ، واحترام الإنسان ، وحرياته وحقوقه ، وخصوصًا داخل أوطان أصحاب هذه الحضارة وحرصهم على الشورى ومقاومة ظلم الحكام واستبدادهم بالشعوب .

ويحسن بى هنا أن أذكر صورة من تراثنا المجيد ترينا مدى إنصاف سلفنا لخصومهم ، واعترافهم بفضلهم ، وإن كان بينهم من الحروب ما بينهم .

وهذه الصورة ليست قصة فى كتب الأدب أو التراجم أو التاريخ، بل هى حديث رواه الإمام (أحمد) فى مسنده ، و(مسلم) فى صحيحه ، واللفظ هنا لـ (مسلم) . فقد روى من حديث موسى ابن على ، عن أبيه ، قال : قال المستورد القرشى عند عمرو ابن العاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس ، فقال له عمرو : أبصر ما تقول ! قال : أقول ما

سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً : إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ، ويتيم ، وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة : أمنعهم من ظلم الملوك » [١] .

ويعجب المرء أن تصدر هذه الشهادة للروم من قائد عسكرى وسياسى مسلم ، مثل « عمرو بن العاص » الذى خاض أكثر من معركة مع الروم فى فلسطين ومصر وغيرها ، ولكنه الإسلام الذى علمهم أن يكونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، وألا يجرمنهم شنآن قوم على ألا يعدلوا .

وقد لاحظ المراقبون على الحركة الإسلامية الحديثة أنها تبالغ فى تقدير قوتها ، وتبالغ فى بيان ضعف خصومها ، والتهوين من شأن العوائق فى مسارها ، وتهول فى المدح إذا مدحت ، وفى الذم إذا ذمت ، كما تبالغ فى الحب إذا أحبت ، والكره إذا كرهت .

وقد جاء فى الأثر « أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .

وفى المثل : « لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً » .

---

(١) رواه مسلم فى « صحيحه » - كتاب الفتن واشتراط الساعة .

وقد علمنا القرآن أن نكون عدولاً مقسطين مع من نحب ومن نكره ، مع أنفسنا ومع أعدى أعدائنا .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا ، هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ (٢) .

* * *

● **رابعًا : الخوف من التجديد :**

وهذه نقطة من نقاط الضعف فى الحركة الإسلامية : إنها تخاف من الاجتهاد ، ولا ترحب كثيراً بالتجديد ، ولا تميل إلى (الانفتاح) ومواكبة التطور .

ورغم أنها تدعو - من الناحية النظرية على الأقل - إلى (الاجتهاد) فى المجال الفقهى ، فهى تميل إلى (التقليد) فى المجال الفكرى ، والمجال الحركى وتؤثر أن يبقى كل قديم على قدمه .

وليس هذا مقصوراً على الحركات التى عرفت بنزعتها (الظاهرية) فى فهم الإسلام ، والحرفية فى تفسيره ، بل يكاد ذلك يعم

---

(١) النساء : ١٣٥ .   (٢) المائدة : ٨

الحركات الإسلامية المعاصرة . حتى التى اشتهرت منها بالمرونة وسعة الأفق ، وخاضت من التجارب ما يجعل لها الحق فى التجديد والتغيير .

فهى تتمسك أحياناً ببعض الوسائل والأشكال ، ولو وقفت حجر عثرة فى سبيل انتشارها ، أو جلبت عليها متاعب هى فى غنى عنها. وتنفر من الأفكار الحرة ، والنزعات التجديدية ، التى تخالف المألوف والمستقر من الأفكار والأعمال ، وتضيق بالمفكرين من هذا النوع الذى يصعب صبه فى قالب حجرى لا يفارقه ، أو حبسه فى قمقم فكرى لا يخرج منه ، وربما تصدر فى شأنهم قرارات أشبه بـ(قرارات الحرمان) بحيث لا تقرأ كتبهم ، ولا تشهد حلقاتهم .

ولهذا لا يبعد أن يتسرب كثير من هؤلاء منها واحداً بعد الآخر ، كما يتسرب الماء من بين الأصابع ، لا كفرانًا بأهدافها ، ولكن فراراً بعقولهم أن تجمد أو توضع فى ثلاجة . . . والحركة نفسها تستريح بانسحابهم ، لأنهم يحركون السواكن ، ويثيرون البلبلة .

رأيت بعض الأحزاب الإسلامية يفرض على أتباعه نوعاً من الثقافة المحفوظة ، التى تردد وتكرر مفاهيمها كأنها قرآن يتلى ، فيفدون وكأن كل واحد منهم (شريط مسجل) يردد ما ملئ به ، لا إنسان يفكر ويحاور ، ويأخذ ويدع ، فما قاله أميرهم أو رئيسهم فى موقف من المواقف ، أو فى قضية من القضايا ذات الأوجه المتعددة ، هو الصواب الذى لا يقبل الخطأ ، بل الحق الذى لا يحتمل الباطل .

ورغم إنكارهم نظرياً للتربية الصوفية ، التى تقوم على السمع المطلق والطاعة العمياء ، التى شعارها : من قال لشيخه : لِمَ ؟ لا يفلح ! والمريد بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل ! نراهم يربون أتباعهم على مثل هذه النزعة ، وإن لم يقولوا ما قاله المتصوفة .

ومن قال : لِمَ ؟ نظر إليه بتحفظ ، فإن قال أكثر منها فهو متمرد .

والأدعى من ذلك ألا يقتصر ذلك على الجنود والمريدين ، بل يُراد أن يُطبع العلماء والمفكرون والكتاب بهذا الطابع التقليدى ، فلا يخرجون عن الإِطار المرسوم ، لا فى التفكير ولا فى التعبير ، فإن فعلوا قوبلوا بأعنف الهجوم .

ولا غرو أن لاقى الداعية العلامة المرحوم الدكتور « السباعى » ما لاقى ، لأنه سمى عدالة النظام الإِسلامى (اشتراكية الإِسلام) اجتهاداً منه ، بغية جذب فئات من الناس تستهويها كلمة (اشتراكية) وتحسب أن الإِسلام فى نظامه الاقتصادى لون من الرأسمالية .

ولقى كاتب إِسلامى آخر من عنف الهجوم ما لقى ، لأنه كتب فى العدد الافتتاحى لمجلة (المسلم المعاصر) يرجو أن تكون لسان ما سماه (اليسار المسلم) اجتهاداً منه فى الرد على الذين يصنفون الدعاة إلى الإِسلام فى صف (اليمين) دائماً ، بما يحمل ذلك من ولاء للنظام الرأسمالى ، وتبعية للغرب . . . إلخ .

ولست من الموافقين على هذا التعبير أو ذاك ، ولكنى أوافق كل الموافقة أن يكون لأهل الفكر حقهم فى الاجتهاد ، وهم مأجورون عليه ، أصابوا أم أخطأوا وأنكر كل الإنكار مصادرة حقهم فى حرية الرأى . كما أنكر الاتهام والتشنيع لمجرد إبداء رأى مخالف للمعهود ، فرب رأى يُرفض اليوم من الأكثرية ، يغدو هو الرأى المقبول والسائد بعد مدة من الزمان .

طلبت مجلة إسلامية حركية إلى كاتب إسلامى كبير أن يمدها بمقالاته ، فكتب لها مقالاً ، يحمل رأياً خاصاً له بجواز قيام أحزاب إسلامية فى ظل نظام إسلامى ، لأدلة واعتبارات يراها ، ولكن رئيس التحرير جمد هذه المقالة ، ولم يأذن لها بالنشر ، لأنه يخالف الرأى التقليدى المتوارث : ألا حزبية فى الإسلام ، وهو كلام مجمل يحتاج إلى بيان وتفسير ، وكانت له ظروفه وملابساته.

وكُلف أحد المشايخ من الدعاة العاملين فى حقل الحركة الإسلامية يوماً بوضع خطة عمل لخمس سنوات ، فكان مما اقترحه ضمن الخطة إجراء حوار متصل مع القوى الخائفة من الإسلام ، والمناوئة له ، والمعادية للحركة الإسلامية : حوار فكرى مع المستشرقين وأمثالهم من رجال الفكر الغربى ... وحوار دينى مع الأحبار ورجال الدين المستعدين للتفاهم والوقوف فى وجه المادية الطاغية ... وحوار سياسى ، مع الدبلوماسيين والسفراء والمهتمين بالشئون السياسية ... والغرض من هذا الحوار تغيير الفكرة القديمة التى تصور الإسلام غولاً ، والمسلمين وحوشًا ، والحركة الإسلامية

حركة إرهاب وعنف دموى . . . وإمكان إقامة تعايش سلمى بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى ، وأن يكون للمسلمين حقهم فى حكم أنفسهم فى أوطانهم وفق عقيدتهم وشريعتهم .

والعجيب أن هذا الاقتراح قوبل من الأغلبية بالرفض والسخرية حتى قال من قال : إن الشيخ أصبح تقدمياً !!

وفى ظل هذا المناخ الفكرى ، تجد الآراء المتشددة ، والمواقف المتشنجة رواجاً وإقبالاً ، ويعتبر أصحابها أبطالاً .

وفى ظل هذا المناخ تنفق سوق المزايدات على إرضاء جمهور المتدينين بإظهار التشدد فى الرأى ، والمتاجرة باتخاذ مواقف التصلب .

وأكثر الناس يظنون أن الانحراف يتمثل فى توظيف العلم فى اتباع هوى السلاطين . ونسوا أن يضيفوا إليه توظيف العلم فى اتباع أهواء الجمهور ، وفى رأيى أن اتباع أهواء العامة أشد خطراً من اتباع هوى السلطان ، لأن الذين يتبعون السلاطين يكشفون ويرفضون ، أما الذى يتبعون أهواء الجماهير فهم فى نظرهم الأبطال الصادقون!!

وقد سدد الفكر المتشدد فى الستينات من القرن العشرين ، نتيجة لظروف وأوضاع معينة لا تخفى على الدارسين ، حتى انتهى بدعاته إلى الانفصال عن المجتمع ، والاستعلاء عليه ، ورميه بالجاهلية المطلقة ، وتجلت (ظاهرة الغلو فى الكفر) ، تلك الفكرة التى

تتهم جماهير المسلمين بأنهم كفار ، لأنهم لم يفهموا « لا إِله إلا الله » ولم يؤمنوا بحاكميته سبحانه ! وترى من العبث (الاجتهاد) لإيجاد حلول للمشكلات المعاصرة ، وتسخر من محاولة (تجديد الفقه الإِسلامى) فى مجتمع لا يلتزم بالإِسلام ، وترفض دعوة الناس بتقديم النظام الإِسلامى لهم ، إذ الخطوة الأولى أن تقدم لهم العقيدة حتى يسلموا أولاً ، ثم تعرض عليهم بعد ذلك نظم الإِسلام: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

هذه أبرز نقاط الضعف أو مواضع الخلل ، التى تؤخذ على الحركة الإِسلامية المعاصرة ، ذكرتها احتساباً لله ، ونشداناً للكمال ، وأنا أعلم أن فى أبناء الحركة من يضيق بهذا النقد ويفزع منه ، وأن فى خصوم الحركة من يلتقط هذه الكلمات ليضخمها ويستخدمها للتشويش على الحركة وأهدافها ، بل للتشويش على الإِسلام ذاته . كما أشرت إلى ذلك من قبل ، مغفلاً - عمداً - ظروف الحركة الصعبة من ناحية ، وما حققته من إنجازات تذكر فتشكر من ناحية أخرى .

وهذا ما نتحدث عنه فى الصفحات التالية ، باحثين عن أفضل السبل لتدارك النقص ، وابتغاء الكمال .

* * *

إلى الأمل والعمل

ما ذكرناه عن الأمة الإسلامية أولاً ، وعن الحركة الإسلامية ثانيًا ، لا يعنى - كما يصور بعض المتطيرين أو بعض ذوى الغرض - أن الأمل مفقود ، وأن الطريق مسدود .

فثمت دلائل كثيرة تبشر بالخير ، على مستوى الأمة ، وعلى مستوى الحركة ، وإجماعنا على أن هناك خللاً يجب أن يسد ، وقصوراً يجب أن يتلافى ، والبحث عن هذا الخلل لتشخيصه ووصف العلاج له . . . كل هذا من الظواهر الصحية المبشرة بغد أفضل . فالوعى بجوانب النقص أول خطوات تحقيق الكمال.

* * *

● **انصفوا الحركة الإسلامية :**

على أن أول خطوة فى سبيل العلاج الصحيح أن ننصف الحركة الإسلامية ، التى ترنو إليها الأمة على أنها مناط الرجاء ، وهذا يحتم علينا أن نذكر ما لها - أو على الأقل بعض ما لها - من حسنات وثمرات ، كما ذكرنا ما عليها من مآخذ ، وما لها من حسنات ليس هيناً ولا قليلاً .

وقبل ذلك ينبغى أن نذكر مالها من عذر فيما قصرت فيه ، وما يعترضها من عقبات قد تعجز وحدها عن تذليلها .

* * *

● المناخ الذى تعمل فيه الحركة الإسلامية :

إن الحركة الإسلامية تعمل فى مناخ لا تحسد عليه ، مناخ لا يسمح للإسلام فيه أن يقول كلمته بصراحة ، ولا يجمع أبناءه فى حرية . وقد يؤذن لكل ذى نحلة أو مذهب أن يعبر عن نفسه إلا الإسلام ودعوة الإسلام .

الإسلام المسموح به هو الإسلام (الموجه) ، الإسلام الحكومى، أو الإسلام (المستأنس) ، الذى جرد من كل سلاح من أسلحة القوة والحيوية .

فى هذا الجو الخانق - جو القهر والاستبداد - تعمل الحركة الإسلامية . تعمل ويدها مغلولة ، وأقدامها مقيدة ، تشن عليها الحرب من كل الجبهات داخلية وخارجية ، وبكل الأسلحة : جسدية ونفسية ، فكرية وإعلامية ، اقتصادية وسياسية .

ولا تكاد تفيق من ضربة إلا لتتلقى أخرى ، أو تقوم من محنة إلا لتواجه بمحنة أقسى وأعتى ، حتى تكاد تنسى الآخرة مرارة الأولى

على قسوتها ، وكادت تكون أيام المحن هى الأصل ، وأيام العافية هى الاستثناء ، وغدا أبناء الحركة يتمثلون بقول أبى الطيب :.

فصـــــــرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال !

وقد أثبتت التجارب فى أقطار إِسلامية شتى ، وفى أزمنة مختلفة : أن الحركة الإِسلامية إِنما تنتعش وتزدهر فى ظل الحرية ، هناك تتجاوب مع الفطر السليمة ، والعقول الراشدة ، فيهتدى على يديها الضالون ، ويزداد الذين اهتدوا هدىً . .

هناك ينتقل كثيرون من السلبية إلى الإيجابية ، من العزلة إلى المشاركة ، من التدين الفردى ، إلى العمل الجماعى . . . من قوله نفسى نفسى ، إلى قوله : أمتى أمتى . . . من شعار : دع الملك للمالك ، والخلق للخالق !! إلى شعار : أَصلح نفسك وادع غيرك .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

كما أثبتت الوقائع : أن الحركة الإِسلامية إِنما تنكمش وتضمر ، بل تذوى وتذبل ، حين يخنقها (غاز) القهر والاستبداد ،

---

(١) فصلت : ٣٣

وهو الذى تعانيه اليوم فى جل أقطار الإسلام ، إن لم يكن فى كلها .

* * *

● **الحركة باقية ماضية :**

ورغم هذه الظروف الصعبة التى تعمل فى ظلها الحركة الإسلامية ، لا يستطيع أحد أن ينكر ما قدمته الحركة الإسلامية للأمة الإسلامية ، فى بلاد العرب والمسلمين كافة ، على صعيد الفكر والشعور والسلوك والتربية والجهاد ، وخصوصاً بعد تمكن الاستعمار من أقطارهم ، وهدم الخلافة الناظمة لعقدهم ، وهيمنة الفكر الغربى على مثقفيهم ، ثم سيطرة الأنظمة الوطنية العلمانية على أزمة الحكم والتوجيه لحياتهم ، ولا يستطيع دارس منصف أن يزعم أن الحركة قد تجمدت أو شاخت ، فالحركة باقية ببقاء الإسلام ، الذى تستمد قوتها منه .

إن الحركة الإسلامية - إن أخفقت فى إقامة الدولة الإسلامية المنشودة - فهذا لا يعنى أن دورها قد انتهى .

والمراقبون الغربيون أنفسهم يدركون هذا ، ويعلمون أن المارد المحبوس فى قمقمه يمكن فى أى لحظة أن يفك الطلاسم ويبطل السحر ، ويخرج من أسره عملاقاً جباراً .

هكذا قال أحدهم قديماً . . وهو المستشرق المعروف (جب) الخبير بالإسلام وبالشرق في كتابه (إلى أين يتجه الإسلام) قال :

« إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة ، تدعو إلى الدهشة ، فهى تنفجر انفجاراً مفاجئًا ، قبل أن يتبين المراقبون من أمارتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ، لا ينقصها إلا ظهور (صلاح الدين) جديد » !! .

وحديثاً قال مستشرق آخر هو : (برنارد لويس) فى كتابه (الغرب والشرق الأوسط) فقد نقل عن الدكتور « نبيه أمين فارس» - أحد أعلام المؤرخين العرب المعاصرين - قوله عن الإخوان المسلمين:

« إن فكرتهم ومثاليتهم لا تزال تمثل أعمق مطامح المسلمين من المغرب إلى أندونيسيا » ثم قال « لويس » : والشىء الواضح الوحيد هو أن من بين جميع الحركات الكبرى التى هزت الشرق الأوسط فى آخر قرن ونصف كانت الحركات الإسلامية وحدها أصيلة فى تمثيلها لمطامح أهل هذه المنطقة .

فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلها أوروبية الأصل ، مهما أقلمت وعدلت فى الشرق الأوسط ، والمنظمات الإسلامية هى الوحيدة التى تنبع من تراب المنطقة وتعبر عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة .

وبالرغم من أن كل الحركات الإسلامية قد هزمت حتى الآن . . . غير أنها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة . ا هـ .

* * *

● بعض شعار الحركة الإسلامية :

على أن الحركة الإِسلامية بشهادة الأنصار والأعداء ، قد حققت نجاحاً ملموساً في ميادين شتَّى لا يجحدها إلا مكابر :

(أ) لقد صححت الحركة المفاهيم الإِسلامية التى شوهتها عصور الجمود ، أو عهود الاستعمار ، وطاردت الغزو الثقافى الذى خلا له الميدان فى بعض المراحل واستعبد عقول كثير من المثقفين من أبناء أمتنا .

وأغنت المكتبة الإِسلامية بعدد غير قليل من الكتب والرسائل فى مختلف جوانب الثقافة اللازمة للمسلم المعاصر ، حتى أثرت فى عدد من الكتاب الذين كان ولاؤهم للفكر الغربى ، فاتجهوا بكتاباتهم إلى الإِسلام ، وبذلك أحدثت تياراً فكرياً ضخماً كان له أعمق الأثر فى تغذية الاهتمام بإحياء التراث الإِسلامى ، ونشره وتوجيه الدراسة إلى الموضوعات الإِسلامية فى الجامعات حتى المدنية منها .

(ب) أعادت الحركة لجماهير المسلمين الشعور بالذاتية الإِسلامية ، وبالانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس ، وزرعت الأمل فى قلوبهم بغد مشرق للإِسلام بعد يأس غذَّاه طولُ الهزائم والنكسات من جراء الغزو الخارجي والطغيان الداخلى ، وحطمت الحركة الهالة التى قدمت بها الحضارة الغربية ، وجعلت منها صنماً يعبد وحررت نفس المسلم من الشعور بالدونية والهزيمة الروحية أمام تلك الحضارة التى

كاد سنا برقها يذهب بالأبصار ، ويخلب الألباب . وبخاصة أنها جاءتنا وهى فى أوج قوتها وتقدمها ، ونحن فى حضيض ضعفنا وتخلفنا .

(ج) أنشأت الحركة جيلاً من المسلمين والمسلمات ، والملتزمين بالإسلام : اعتقادًا وتعبدًا ، وفكرًا وسلوكًا ، ودعوة وجهادًا ، ولا زال هذا الجيل ينمو ويتكاثر يوماً بعد يوم فى أنحاء شتى من أرض الأمة الإسلامية ، وهو جيل ربانى الوجهة قرآنى الخلق محمدى القدوة إسلامى الأفكار والمشاعر ، قدم الشهداء بعد الشهداء فى ميادين الجهاد فى سبيل الله ، ضد الاستعمار والصهيونية فى الخارج، وضد الطغيان واللادينية فى الداخل .

وهو جيل استعصى على التذويب برغم تتابع المحن القاهرة ، والتى استخدم فيها من أدوات التعذيب ووسائل القهر ما يذيب الحديد . عذبوا الأبدان ، وأزهقوا الأرواح ، وجوعوا البطون ، وقهروا الأنفس ، ولم يزدهم ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا .

(د) وكونت الحركة كذلك - وراء هذا الجيل الملتزم - رأياً عامًا إسلاميًا ، يناصر الإسلام ويحب دعوته ، ويظهر الولاء لشريعته ، وينكر الإلحاد والإباحية والعلمانية . وقد ظهر ذلك فى التنادى بتطبيق الشريعة الإسلامية وضرورة الرجوع إلى أحكامها ، والنص فى كثير من الدساتير على أنها المصدر الأول أو الرئيسى للتشريع ، واستجابة بعض الحكام لصوت الجماهير المنادية بذلك بالفعل ولا زالت القاعدة

الجماهيرية الموالية للإسلام ، المنكرة للعلمانية ، تتسع يومًا بعد يوم، حتى غدت الأحزاب السياسية العلمانية الأصل تتملقها وتلتمس رضاها وتأييدها فى الانتخابات النقابية ، معلنة قبولها لحكم الشريعة والدعوة إليها !!

(هـ) كما أسهمت الحركة الإسلامية بأكبر نصيب فى إيجاد ما اصطلح على تسميته بـ « الصحوة الإسلامية » المعاصرة ، التى شملت أعدادًا لا تحصى من المثقفين من الفتية والفتيات ، فى شتى أقطار العالم الإسلامى ، وخارج العالم الإسلامى أيضاً فى أوربا وأمريكا والشرق الأقصى ، وكان لها أثرها فى الجهاد الإسلامى فى أفغانستان والفلبين وغيرهما .. وفى إقامة البنوك والمؤسسات الاقتصادية الإسلامية ... وفى انتشار الكتاب الإسلامى حتى ضرب الرقم القياسى فى سوق التوزيع .

فهى بحق صحوة فكر وعاطفة وسلوك ، كما لمسنا آثارها فى بلاد الله الرحبة .

ولهذا ليس من العدل أن نقول : إن الحركة أخفقت فى مهمتها ، فإن مهمتها ذات شعب متعددة ، وكل فرد مسلم تكسبه الحركة ، وتنقله من حمأة الجاهلية الحديثة ، أو من صحراء التيه والضياع إلى دائرة الالتزام الفكرى والخلقى للإسلام - يعد مكسبًا ذا بال ، وتحقق به الحركة جزءاً من أهدافها ، كما يقربها من أهدافها الأخرى ، وفى الحديث الصحيح : « لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم »

وكانت الحركة الإِسلامية - بفكر علمائها ، وصبر دعاتها ، وصمود أبنائها ، وتضحيات شبابها وشيوخها ، وغنى تاريخها - هى التى هيأت لهذه الصحوة أن ترى النور وأن تبرز إلى حيز الوجود والتأثير .

ومن العدل أن نسجل للحركة الإِسلامية تطورها الجديد فى أفكارها وعلاقاتها .

فقد رأينا الإخوان المسلمين فى مصر يتعاونون مع حزب الوفد الجديد فى خوض معركة الانتخابات ، والوصول إلى مجلس الشعب ، لإسماع صوت الدعوة الإِسلامية لنواب الأُمة ، وإن أنكر ذلك بعض المتشددين .

ورأينا إخوة آخرين يتحالفون مع القوى الوطنية المعارضة ، للعمل على إسقاط نظام طاغوتى يقاوم الإِسلام جهرة ، رغم تشنج فئة من المخلصين الذى يرفضون أى تحالف أو تفاهم مع أى فرد أو هيئة أو فئة غير ملتزمة بالإِسلام .

ورأينا بيان الحركة الإِسلامية فى سورية يتضمن مواقف جديدة متطورة ، فى برامجها الإِصلاحية والسياسية ، وعلاقاتها الوطنية والدولية .

ورأينا الجماعة الإِسلامية فى باكستان فى بيانها الانتخابى فى حياة الإِمام « المودودى » تتبنى إلزامية الشورى ،على غير ما رآه المودودى من قبل ، وتوافق على مبدأ إعطاء حق الإِضراب عن العمل ، رفعًا

لظلم ، أو طلبًا لحق ، لا ينال إلا بهذا الطريق . . . إلى غير ذلك من آراء ومواقف فيها كثير من السعة والمرونة ، وقد كانت مرفوضة لديها من قبل .

* * *

● مزيد من العمل والعطاء :

ومع هذا ، فإن على الحركة الإسلامية أن تضاعف الجهد ، وتكثف العطاء ، حتى تحقق الآمال المنوطة بها .

على الحركة أن تنتقل من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، وأن تتحرر من تلك الآفة التى غدت ظاهرة عامة بيننا نحن المسلمين ، والتى غدت تعوق خطانا عن السير ، وهى كثرة النواح على الماضى، وقلة العمل للحاضر ، والنواح لا يحيى ما مات ، ولا يرد ما فات .

إن آفتنا كثرة الشاكين المتوجعين ، وقلة المداوين ، كثرة من يسبون الظلام ، وقلة من يوقدون الشموع .

أجل ، كثرت الشكوى وتكررت من الأدواء والمآسى ، حتى لم يعد هناك أحد إلا يشكو ، فمن المشكو منه إذن ؟ كلنا شاك وكلنا مشكو منه .

ولقد حدثوا أن واعظاً بليغًا وعظ الناس يوماً حتى بكوا من تأثير الموعظة ، ثم بحث عن كتابه فوجده قد سرق ، ونظر إلى الحاضرين ، عسى أن يلمح بينهم وجهًا تلوح عليه آثار الجريمة ،

ولكنه وجد الجميع يبكون ، فقال لهم : كلكم يبكى ، فمن سرق الكتاب ؟!

والحركة الإسلامية يلزمها أن تنتقل من دائرة الشكوى ولوم الزمان إلى دائرة العمل ، والعمل المتواصل الدءوب : العمل على مستوى الإسلام ، ومستوى العصر ، ومستوى ما يعمل الآخرون لأديانهم . العمل للحاضر والعمل للمستقبل ، العمل لإقامة البناء ، والعمل لحمايته من معاول الهدم .

ولا يعفينا من حساب الله ، ولا من لوم الناس ، ولا من سؤال التاريخ ، ولا من تأنيب الضمير أن نقول : إننا كنا ضحية لمخططات جهنمية دبرتها القوى المعادية للإسلام فى الخارج ، ونفذها عملاؤها فى الداخل !! فإلى متى نظل حقل تجارب لخطط الأعداء ؟ وإلى متى نشكو من تخطيط غيرنا ضدنا ، ولا نخطط نحن لأنفسنا ؟ لماذا لا نقابل تخطيطهم الهدام بتخطيط بناء مضاد ؟ ولا يفل الحديد إلا الحديد .

* * *

● العمل لكسب النخبة والجماهير معًا :

ولابد للحركة الإسلامية أن تعمل بجد وعزم للوصول إلى قلب النخبة والجماهير وإزالة ذلك السور الذى ضرب بين الحركة وبين عدد كبير من (النخبة) أى المثقفين من جهة ، وبينها وبين عدد كبير من الجماهير من جهة أخرى .

فالنخبة من المثقفين قد غزاهم - أو غزا كثيرًا منهم - الفكر

الدخيل ، فأثر فى أفكارهم ومفاهيمهم ، كما أثر فى مشاعرهم وولائهم ، فهم لا يفهمون الإسلام إلا كما يفهم الغربى المسيحية ، وهم يسقطون على الإسلام ما أسقطه الغربيون على مسيحيتهم ، فهم يفترضون عداوة موهومة بين الإسلام والعلم ، ومناقضة بين الشريعة والتطور ، ويرون أن مكان الدين فى ضمير الفرد ، أو تحت سقف المسجد لا يتعداه ، وهم يتخذون من التراث موقفاً عدائياً ، على حين يقدسون كل ما جاء من الغرب ويضمرون الولاء له ، والتقدير لرجاله ، ويجعلون منه موئلاً وإماماً .

ولابد للحركة الإسلامية بكل مدارسها وجماعاتها وشخصياتها أن تبذل جهدًا أكبر مع النخبة المثقفة ، وأن تخاطبها بلسانها لتبين لها ، وأن تتعرف على ما لديها من شبهات لترد عليها بالعلم لا بالاتهام ، أو من استفسارات لتجيب عنها ، وأن يقوم حوار علمى هادئ ممتد بينها وبينهم ، ولا ريب أن تغيرًا كبيرًا قد حدث بين المثقفين ، وتغيرت مفاهيم الكثيرين منهم مما لقنه لهم « الغزو الفكرى » ، وانضم كثيرون كذلك لركب العمل الإسلامى .

والجماهير التى قامت الحركة أساساً لتنهض بهم ، وتأخذ بأيديهم وتعلم جاهلهم ، وتنصف مظلومهم ، قد استطاع الخصوم الدهاة المدربون أن يخوفوا أعدادًا منها من الحركة ، وينفروهم منها ، وينشروا من الأكاذيب حولها ما يزهدهم فيها ، أو على الأقل يوئسهم من مستقبلها .

ولابد للحركة أن تعمل جاهدة على إذابة حاجز العزلة ، وكسر

هذا السور المفتعل ، والوصول إلى قلب الجماهير التى هى أولى الجهات بالتعبير عنهم ، فهى منهم وإليهم وبهم . وجماهيرنا مؤمنة بفطرتها وتاريخها ، وهى مع حركة الإسلام ، ونداء الإيمان ، كما يدل على ذلك استقراء الواقع ، وقراءة التاريخ .

إنما تنجح الحركة يوم تكون حركة كل المسلمين لا حركة فئة من المسلمين .

* * *

● ترشيد الصحوة الإسلامية :

ولابد للحركة الإسلامية من بذل الجهود الفكرية والعملية لترشيد الصحوة الإسلامية ، وتسديد خطواتها على الطريق الصحيح ، الذى يجنبها المزالق والعثرات ، وينأى بها عن الغلو والتفريط ، ويقيها السقوط فى المهاوى التى يحفرها لها الحفارون ، أو تحفرها لنفسها بسوء تقديرها .

وقد دلت شواهد ووقائع كثيرة أن هناك جهات أجنبية ، وقوى معادية خفية تعمل بجد ودهاء ، وتدبر فى الظلام والخفاء ، لإدخال هذه الصحوة فى متاهات لا تستطيع الخروج منها ، وإقحامها فى معارك لا مبرر لها ، وشغلها بالنوافل عن الفرائض ، وبالفروع عن الأصول ، وبالشكل عن الجوهر ، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه . كما تعمل على تغذية ما سموه (التطرف الدينى) ، وتضخيمه واستخدامه لمصالحهم .

وأنا لست من الذين يحاولون رد كل ما يحدث فى مجتمعاتنا إلى مؤثرات أجنبية ومخططات جهنمية : صهيونية أو صليبية أو شيوعية ، تستخدم فيها بعض القوى المحلية من حيث تشعر أو لا تشعر ، لأن هذا التفكير يشعرنا فى النهاية أننا مسيرون لا مخيرون ، كما تقول الجبرية الدينية ، أو أننا « أحجار على رقعة الشطرنج » تحركنا وتغير مواقعنا القوى الكبرى بغير إرادتنا ، كما تقوله الجبرية السياسية !!

وفى هذه القضية أرى أن ما سموه « التطرف الدينى » أفرزته أسباب عديدة شرحتها فى كتابى « الصحوة الإسلامية » . وهى أسباب من داخل كياننا قبل كل شىء .

ولكنى لا أنكر أن هناك قوى معادية لانتصار الإسلام ، وعودته إلى قيادة المجتمع ، استغلت هذه الظاهرة بخبث ودهاء ، وحرصت على تغذيتها لتكبر وتنمو ورمت لها بالوقود لتظل متأججة ملتهبة . وهى بذلك تكسب جملة فوائد منها :

١ - تنفير جماهير الناس من ظهور الإسلام نظاماً حاكمًا للحياة، ما دام الذين يدعون إليه ويجسدون صحوته ، يتبنون التشديد والتضييق ، وتحجير ما وسع الله ، وتعسير ما يسر على عباده ، على عكس ما قال النبى ﷺ لأصحابه : « إنما بعثتم ميسرين ولم تُبعَثُوا معسرين » [١] ، وبذلك ينعزل الجمهور الذى

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم .

ينشد اليسر ويكره العسر ، عن الصحوة بل قد يقف منها موقف الجفاء أو الخصام ، وفى هذا خسارة كبرى .

٢ - شغل جيل الشباب الذى يمثل العمود الفقرى للصحوة الإِسلامية ، بالمسائل الجزئية ، والقضايا الجانبية ، وتبديد جهوده الفكرية ، وطاقاته العملية فى الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات ، والمجادلة عنها والمخاصمة عليها ، وإلهاؤه عن القضايا المصيرية الكبرى ، التى تتصل ببقاء الإِسلام ، وسيادة أمته ، وتحرير أوطانه، وتحكيم شريعته فى الأرض .

٣ - شغل القوى الإِسلامية المتحركة بعضها ببعض ، فبدل أن توجه حركتها الصاعدة إلى عدوها المشترك ، تتصارع فيما بينها ، وتتراشق بالتهم ، حتى يصل الأمر إلى حد التأثيم ، بل التكفير . . وبهذا يهدم بعضها بعضًا ، ويخربون بيوتهم بأيديهم ! والعدو المتربص يقف متفرجًا قرير العين بما يرى ، ولا مانع عند اللزوم أن يتدخل ليجهز على البقية الباقية .

٤ - إعطاء السلطات المتربصة بالدعوة الإِسلامية - التى تتوجس منها خيفة أو تضمر لها كرهًا - مبررًا لتضرب التحرك الإِسلامى ، والعمل الإِسلامى كله ، السوى منه والشاذ تحت مظلة محاربة «التطرف» ومقاومة «المتطرفين» .

٥ - تيئيس الناس - فى النهاية - من الإسلام ودعاته ، [illegible] الد
الإسلامى [illegible] [illegible] ، والصحوة مآلها إلى نوم ، و[illegible] فائدة

(م ٦ - أين [illegible])

فى أى عمل إسلامى مادامت نتيجته أن يضرب من الخارج أو يتآكل من الداخل .

ونصيحتى للحركة الإسلامية أن تعمل على ترشيد الصحوة ، ولا تحاول احتواءها والسيطرة عليها . فإن من الخير للحركة ، وللصحوة ، ولأمة الإسلام ، أن تبقى هذه الصحوة حرة وعفوية وغير منسوبة إلى جماعة أو هيئة أو حزب ، وهذه العفوية أو التلقائية أو (الهلامية) لها فائدتها فى الامتداد الأفقى فى مختلف شرائح المجتمع ، دون عوائق نفسية أو اجتماعية أو سياسية ، مما يعوق انتشار الدعوات ذات الاسم المعين والإطار الخاص ، والتاريخ المعروف ، والتى لها أعداء تقليديون ، وخصوم منافسون ، كما لها فائدتها فى بقاء هذه الصحوة بمعزل عن إرهاب السلطات المستبدة ، التى تعجز عن محاصرة هذه الصحوة أو ضربها .

* * *

● خطوط عريضة لترشيد الصحوة :

وفى ملتقى الفكر الإسلامى الثامن عشر بالجزائر (شوال ١٤٠٤هـ - يوليو ١٩٨٤م) ، وكان موضوعه « الصحوة الإسلامية» تحدثت عن مستقبل هذه الصحوة بين الأمل فيها والخوف عليها .

وكان مما طرحته على الملتقى لترشيد الصحوة وتجنيبها المزالق والمآزق والعثرات - حتى تحقق الآمال المرجوة منها ، وتتقى المحاذير المخوفة عليها - أن تنتقل من طور إلى طور ، وترتقى من مرحلة إلى مرحلة ، بعد أن شبت عن الطوق وأصبحت ظاهرة عالمية لها

تغلغلها وتأثيرها ، وامتدادها طولاً وعرضاً وعمقاً ، وخصوصاً بين الشباب المثقف .

وقد حددت برنامج هذا الانتقال أو التطور فى عشرين نقطة أساسية ، من شأنها - إذا روعيت وتحققت - أن تجعل هذه الصحوة أهلاً لقيادة الأمة كلها ، وإزالة التناقض القائم بين عقيدتها المستقرة فى ضميرها ، وبين واقعها الذى عزل فيه الإِسلام عن قيادة الركب وحكم المجتمع .

ويكفينى هنا أن أشير إلى عناوين هذه النقاط العشرين ، التى تمثل الخطوط العريضة لمستقبل الصحوة المنشودة فى فهم الإِسلام ، والدعوة إليه ، والعلاقة بالآخرين من العاملين له ، والقاعدين عنه من أبناء أمته ، ومن الجاهلين به ، والخائفين منه ، والطامعين فيه ، والحاقدين عليه من غير أمته .

لا بد أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز :

١ - من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات .

٢ - من النوافل إلى الفرائض .

٣ - من المختلف فيه إلى المتفق عليه .

٤ - من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب .

٥ - من طرفى الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال .

٦ - من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير .

٧ - من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد .

٨ - من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل .

٩ - من العاطفية والارتجال إلى العلمية والتخطيط .

١٠ - من التعصب على المخالفين فى الرأى إلى التسامح معهم.

١١ - من الإثارة إلى التفقيه (أو من أسلوب الوعاظ إلى أسلوب الفقهاء ، أو من حماس المنبر إلى هدوء الحلقة) .

١٢ - من الكم إلى الكيف (أو من الاهتمام بتزايد الأعداد ولو على حساب التربية إلى العناية بالتربية ولو على حساب العدد) .

١٣ - من سماء الأحلام إلى أرض الواقع (أو من المثالى المنشود إلى الممكن الموجود) .

١٤ - من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له (أو من موقف ممثل الاتهام إلى موقف الطبيب) .

١٥ - من الانكفاء على الماضى إلى معايشة الحاضر ، والإعداد للمستقبل .

١٦ - من الاستغراق فى العمل السياسى إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعى .

١٧ - من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون.

١٨ - من إهمال شئون الحياة إلى التعبد بإتقانها .

١٩ - من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة .

٢٠ - من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس (أو من الغلو فى إثبات الذات إلى نقد الذات) .

هذه هى المنطلقات العشرون والتى اعتبرت بمثابة (ورقة عمل) لتوجيه الصحوة الإسلامية ومن باب أولى : الحركة الإسلامية.

ولا ريب أن كل نقطة منها تحتاج إلى شرح وتحديد وتفصيل ، أرجو أن يوفقنى الله إلى معالجته فى المستقبل .

* * *

● العمل الاجتماعى :

ولا بد للحركة الإسلامية أن تحدد لنفسها ميادين للعمل تخدم بها دينها وأمتها ، وألا يستهلك العمل السياسى كل جهدها ووقتها .

ومن ذلك : الميدان الاجتماعى الذى قصر فيه المسلمون تقصيراً شائنًا ، واستطاع أعداؤهم أن يستغلوه لنشر أديانهم المحرفة بين الجياع والمرضى والأميين والمشردين من أبناء أمتنا .

وهذا ما دعانا للمناداة بتكوين (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) التى تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع ، والكساء للعارى، والدواء للمريض ، والرعاية لليتيم ، والإيواء للمشرد ، والتعليم للجاهل ، والتشغيل للعاطل ، والتدريب للعامل ، والمشاركة الجادة فى تنمية المجتمعات الإسلامية من داخلها .

وقد رأينا إمامًا مثل « حسن البنا » يعطى العمل الاجتماعى من دعوته وحركته عناية بالغة ، ويجعله أحد أهدافها الأساسية ، وينشئ فى كل شعبة قسمًا للبر والخدمة الاجتماعية ، مهمته تنظيم فعل الخير، والدعوة إليه على كل صعيد .

إن بعض الحركات أو الأحزاب الإسلامية تحرم على نفسها العمل لخير الناس أو مساعدتهم حتى تقوم الدولة الإسلامية المرجوة ، فكل مهمتهم هو « الانتظار » على طريقة (انتظار المهدى) الذى تنشق عنه الأرض ، أو تنفرج عنه السماء ، فى يوم وليلة ! .

و(مهدى) هؤلاء هو الدولة أو الحكم الإسلامى المنتظر ، فهم واقفون فى طابور الانتظار ، بلا عمل يذكر ، حتى يتحقق موعودهم!!.

حتى إن منهم من غلا ، فقال : لا جهاد إلا تحت راية الدولة الإسلامية ولا دولة فلا جهاد ، وبعبارة أخرى : تحت راية الإمام ولا إمام !!

ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا فى ظل الدولة المنشودة !!

وبقى عليهم أن يقولوا : لا صلاة ولا زكاة إلا بعد قيام الدولة !!

* * *

● العمل من الجميع :

وإن من آفاتنا كذلك كثرة المتفرجين ، وانتظار العمل من الآخرين، والواجب أن يعمل الجميع كل على قدر جهده وطاقته ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١) .

---

(١) التغابن : ١٦

لا ينبغى أن ننتظر العمل من الحكام وحدهم ، ولا من العلماء وحدهم ، ولا من أصحاب المال أو الجاه أو الثقافة وحدهم ، وإنما ننجح حقًا يوم نستطيع أن نحرك الجماهير المسلمة الغفيرة بالإسلام وللإسلام ، كما فعل اليهود حين حركوا يهود العالم كله من أجل أرض الميعاد ، رغم تفرقهم فى أقطار الدنيا وتقطيعهم فى الأرض أمما .

فعلينا أن نحرك المسلمين كل المسلمين ليقوم كل بدوره قدر وسعه، للرجل دوره ، وللمرأة دورها ، وللصبى والكبير ، وللغنى وللفقير ، المهم أن يعمل الجميع ، وأن يوضع كل فى مكانه الملائم. من استطاع أن يميط شوكة عن طريق فليمطها ، من أمكنه أن يبذر حبة فى الأرض فليبذرها .

من قدر على أن يعطى درهماً واحدًا فليبذله ولا يستقله . ولا يبالى بسخرية الساخرين من أهل النفاق ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ * إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

ومن يدرى ؟ لعل درهمًا واحداً أثقل فى الميزان عند الله من ألف، بل من مائة ألف .

وفى حديث رسول الله ﷺ : « سبق درهم مائة ألف درهم !

---

(٢) التوبة :٧٩

فقال رجل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير ، أخذ من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها . ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به فهذا تصدق بنصف ماله »[1] .

إن الإسلام لا يهون من قيمة أى عمل صالح، وإن ضؤل حجمه ، أو صغرت مساحته ، أو قل عدده . وهو يقرر أن مثقال الذرة أو حبة الخردل من عمل الخير لا تضيع عند الله ، كل ما يهمه هنا هو الروح المصاحبة للعمل ، والنية الباعثة عليه .

فإذا كان وراءه نية صالحة وهدف رفيع ، فإن الله يتقبل العمل بيمينه ، ويضاعف الجزاء لصاحبه ، وإن كان فى صورته وكمه شيئاً قليلاً .

هذا ما يقرره القرآن صراحة فى آياته حيث يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [2] .

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [3] .

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [4] .

---

(١) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وصحّحه على شرط مسلم .

(٢) النساء : ٤٠ (٣) الزلزلة : ٧ (٤) الأنبياء : ٤٧

• كلمة ختــام :

وفى ختام هذه الصحائف نعود للسؤال الأصلى : أين الخلل ؟.

ونعود فنجمل الجواب ، ونقول : إنه خلل عام وشامل ، والمسئولية موزعة على الجميع ، وإن تفاوتت مقاديرها .

إنه ليس خللاً فى الحركة الإِسلامية وحدها ، بل هو خلل فى الأمة الإِسلامية جمعاء .

وإن شئنا الصراحة ، قلنا : إنه خلل فى داخل كل منا ، فى أنفسنا التى بين جنوبنا ، فى حبنا لذواتنا ، وطوافنا حولها كما يطوف الوثنى بوثنه ، فى محاولتنا تبرئة أنفسنا واتهام غيرنا ، وإلقاء التبعة على كل أحد سوانا ، يرى كل منا القذى فى عين أخيه ولا يرى الخشبة فى عينه !!

أجل ، الخلل فى كل منا ، فهو يطلب من المسلمين أن يعملوا وهو فارغ ، وأن يجاهدوا وهو قاعد ، وأن يبذلوا وهو شحيح ، وأن يضحوا وهو متفرج !! .

الخلل فى كل منا ، حيث يؤمن بالله ولا يطيع أمره . . ويحب رسول الله ولا يتبع نهجه ، ويريد الجنة ولا يسعى لها سعيها . ويخاف النار ، ويسلك سبيل أهلها ، ويفخر بالانتساب إلى الإِسلام ولا يعمل لنصرته .

فطوبى لمن بدأ بإِصلاح نفسه ، ثم بدعوة غيره ، ووضع يده فى يد كل من كان على شاكلته من أهل الخير ، غير متبرم بيومه ،

ولا يائس من غده ، واثقًا من نفسه ، مغتزًا بدينه مؤمنًا بربه ، آملاً في نصره الذى وعد به المؤمنين .

ورغم اتساع الخلل ، فإن سده ممكن ، وبواعث الأمل فى انتصارنا أكبر من عوامل اليأس والقنوط .

ومما يقوى رجاءنا فى المستقبل :

١ - أن معنا الحق الذى قامت به السموات والأرض ، وبعث الله به خاتم رسله ، وأنزل به آخر كتبه ، والذى يحمل الهداية للفرد والسكينة للأسرة ، والتماسك للمجتمع ، والخير للإنسانية .

٢ - وأن معنا فطرة الإسلام التى فطر الله الناس عليها ، والتى يرجع إلى حظيرتها كل يوم أعدادٌ غفيرة ، تهتدى بعد ضلال ، أو تتوب بعد معصية ، أو تستقيم بعد انحراف فى الفكر أو فى السلوك أو تتنبه بعد غفلة وطول رقاد ، وتنضم إلى قافلة العائدين إلى موكب الإسلام .

٣ - وأن معنا شعوب الأمة الإسلامية ، التى غدا الإسلام لحمتها وسداها ، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانها العقلى والنفسى والاجتماعى ، فلا يمكنها أن تعيش وتحقق ذاتها إلا بالإسلام ولا يحركها شىء كما تحركها كلمة الإسلام ، وقد جربت « الحلول المستوردة » من الشرق والغرب ، فلم تحقق بها آملاً ، ولم يبق إلا « الحل الإسلامى » منقذًا .

٤ - وأن معنا مصلحة الإنسانية ، التى شقيت بفلسفات البشر ،

وتشريعات الأرض ، فما عاد يسعدها إلا هداية السماء ، ولا توجد هذه الهداية نقية مصفاة إلا فى رسالة محمد ﷺ التى حفظ الله كتابها ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٥ – ومعنا قبل ذلك كله وبعده : تأييد الله تبارك وتعالى ، الذى وعد بنصر من ينصره ، وتكفل بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وأن يتم نوره ، وإن كاد له الكائدون : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١] .

* * *

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣

فهرس الكتاب

* * *

قائمة مؤلفات فضيلة الدكتور :
يوسف عبد الله القرضاوى

١ - فى الفقه وأصوله :

- الحلال والحرام فى الإسلام .
- فتاوى معاصرة ج ١ .
- فتاوى معاصرة ج ٢ .
- تيسير الفقه : فقه الصيام .
- الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية
- الفتوى بين الانضباط والتسيب .
- عوامل السعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية.
- الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد .
- الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط.
- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية .
- من فقه الدولة فى الإسلام .
- نحو فقه ميسر معاصر .

٢ - فى الاقتصاد الإسلامى :

- فقه الزكاة - جزءان .
- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام .
- بيع المرابحة للآمر بالشراء .
- فوائد البنوك هى الربا الحرام
- دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى.

٣ - فى علوم القرآن والسنة :

- الصبر فى القرآن .
- العقل والعلم فى القرآن .

دروس فى التفسير :

- تفسير سورة الرعد .
- كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟

- كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟
- مدخل لدراسة السنة .
- المنتقى من الترغيب والترهيب (جزءان)
- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة .

٤ - عقائد الإسلام :
- وجود الله .
- حقيقة التوحيد .

٥ - فى فقه السلوك فى ضوء القرآن والسنة:
- الحياة الربانية والعلم .
- النية والاخلاص .
- التوكل .

٦ - فى الدعوة والتربية :
- ثقافة الداعية .
- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا .
- الرسول والعلم .
- الوقت فى حياة المسلم .
- رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد .

٧ - فى ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية:
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.
- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .
- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى الإسلامى .
- من أجل صحوة راشدة ، تجدد الدين وتنهض بالدنيا .
- أين الخلل .
- أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة .
- فى فقه الأولويات .
- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه .
- الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.
- ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده .

- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى .
- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان .
- الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم .

٨ - سلسلة : حتمية الحل الإسلامى :

- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا.
- الحل الإسلامى فريضة وضرورة .
- بينات الحل الإسلامى وشبهات العلمانيين والمستغربين .

٩- نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام:

- شمول الإسلام .
- المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة .
- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن الكهانة والتمائم والرقى.

١٠ - إسلاميات عامة :

- الإيمان والحياة .
- العبادة فى الإسلام .
- الخصائص العامة للإسلام .
- مدخل لمعرفة الإسلام .
- الإسلام حضارة الغد .
- الناس والحق .
- جيل النصر المنشود .
- درس النكبة الثانية .
- خطب الشيخ القرضاوى ج ١ .
- قضايا معاصرة على بساط البحث .
- قطوف دانية من الكتاب والسنة .
- لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر .

١١ - شخصيات إسلامية :

- الإمام الغزالى بين مادحيه وناقديه .
- الشيخ الغزالى كما عرفته : رحلة نصف قرن .
- نساء مؤمنات .

١٢ - فى الأدب والشعر :

- نفحات ولفحات - ديوان شعر .
- المسلمون قادمون - ديوان شعر .
- يوسف الصديق - مسرحية شعرية .
- عالم وطاغية - مسرحية تاريخية .

١٣ - رسائل ترشيد الصحوة :

- الدين فى عصر العلم .
- الإسلام والفن .
- مركز المرأة فى الحياة الإسلامية .
- فتاوى للمرأة المسلمة .
- نقاب المرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه .
- خطر الردة وعقوبة المرتد فى ضوء الكتاب والسنة .
- الأقليات الدينية والحل الإسلامى .
- المبشرات بانتصار الإسلام .
- ظاهرة الغلو فى التكفير .

١٤ - محاضرات الدكتور القرضاوى :

- لماذا الإسلام ؟
- الإسلام الذى ندعو إليه .
- واجب الشباب المسلم .
- مسلمة الغد .
- الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير.
- قيمة الإنسان وغاية وجوده فى الإسلام.
- لكى تنجح مؤسسة الزكاة فى التطبيق المعاصر .
- التربية عند الإمام الشاطبى .
- السنة والبدعة .
- مع المصطفى فى بيته .

* * *

كلمة الغلاف

- هذا الكتاب « أين الخلل » يعالج مشكلة جديدة جليلة الأثر هو الداء الذى أصاب جسد الحركة الإسلامية والكتاب بمثابة الدواء الناجح ، والعلاج الأكيد للحركة الإسلامية فى أقطار العالم .
- يقدم المؤلف الحل الأمثل الذى يراه فى عدة نقاط ويرى أن الحركة الإسلامية عليها أن تلتزم الصمت والصبر والعمل الدءوب .
- يرى المؤلف أن تجتمع الجماعات الإسلامية تحت راية واحدة حتى تحقق أهدافها ويجب عليها توسيع دائرتها وتخصيص الجزء الأكبر للاجتماعيات سيرا على منهج الإمام « حسن البنا » .
- إن الفهم الصحيح للإسلام والعمل المستمر يحققان للحركة الإسلامية تجنب المزالق التى قد تعترضها ...